طبول في الليل

تأليف

برتولت برشت

ترجمة وتقديم

د. عبدالرحمن بدوي

العنوان الأصلي للمسرحية :

Bertolt Brecht:

Frühe Stücke

Trommeln in der Nacht

Deutscher
Taschenbuch
Verlag
dtv

مقدمة مسرحية «طبول في الليل»

بقلم المترجم

– ١ –

لفهم هذه المســـرحية لا بد من الإحاطــة بالظروف التاريخية التي تجري أحداث المسرحية في إطارها، ظروف ألمانيا عند نهاية الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨، وحتى ربيع سنة ١٩١٩.

لمــا أيقنت ألمانيا بالهزيمة، بدأت القوى الثورية اليســـارية في إثارة الفتنة، وعلى رأسها الاشتراكيون اليساريون المتطرفون، واليهود. ففي ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ اندلعت الحركــة الثورية في مدينة كيــل Kiel وابتدأت بتمرد رجال الأســطول. وفي ليلة ٧ إلــى ٨ نوفمبر اندلعت الثورة في منشــن (ميونخ)، وكان كورت إيســنر Kurt Eisner الاشــتراكي المستقل قد طالب في اجتماع حاشد باســتقالة الإمبراطور فلهلم الثاني (غليوم الثاني)، وأعلن سقوط الأســرة البافارية، وكون «مجلس عمال وجنود». وكان لينـــين قد بعث بالداعية الشــيوعي يوفه Joffe إلى برلين لإثــارة الجماهير. وأثرت هذه الدعاية في الشــعب الألماني، لأنه ظل طوال أربع سنوات يعاني الحرمان ويبذل أغلى التضحيات بالنفس والمال، طمعا في الانتصار، ولكن ها هي الهزيمة قد حاقت بالجيوش الألمانية في مختلف الجبهات: فالجيوش التي تحت إمرة الأمير روبرشـــت البافاري قد انســحبت في نهاية شــهر أكتوبر إلى خط جاندو فالنسيين، والجيوش التي تحت قيادة ولي عهد بروســيا تدافع عن خط لسرَّ La Serre، وفوش يهاجم في جبهة الفلاندر بمســاعدة فرق أمريكية جديدة، وفي موبيج Maubeuge تحاول قوات المارشال البريطاني هيج Haig أن تخترق الجبهة الألمانية. ولئن أفلح الألمان في حركة الانســحاب إلى جبهة تمتد بين أنفرس وبروكسل وشارلروا ومزييز، فإن الخطر كان لايزال مســتمرا. فإن فوش اســتعد لحملة على اللورين، واتجهت حملتان إلى ميونخ من النمسا: إحداهما عن طريق وادي إن Inn والثانية عن طريق زالتسبورج.

ولم تجد الحكومة الألمانية بدا من التسليم بأن الهزيمة النهائية على الأبواب. وطالب شيدمان، الاشتراكي في الحكومة، باستقالة الإمبراطور. وأمام انهيار الجيش الألماني، سنده الرئيسي، اضطر الإمبراطور إلى الاستقالة في ٩ نوفمبر. وفي اليوم نفسه أعلن شيدمان الجمهورية، وفر الإمبراطور فلهلم الثاني إلى هولندا. وتوالت استقالات اثنين وعشرين أميرا. وفي صبيحة يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ كون الحزبان الاشتراكيان الألمانيان مجلسا موقتا، مؤلفا من ستة مندوبين عن الشعب، وكلهم من الاشتراكيين: فمن الاشتراكيين أصحاب الأغلبية كان إبرت Ebert وشيدمان Scheidemann، ومن المستقلين كان هازه Haase الذي اغتيل بعد ذلك ببضعة أشهر. ولم يدخل الحكومة الثورية الجديدة كارل ليبكنشت Karl-Liebknecht زعيم الحركة السرية التي أطلقت على نفسها اسم «جماعة اسبارتاكوس»[1] Spartakusbund في سنة ١٩١٦، وأخذت تبث الدعاية لوقف الحرب. وقد أعلن مندوبو الشعب هؤلاء حق التصويت للألمان من الرجال والنساء الذين يتجاوزون العشرين، وأن مدة العمل اليومي هي ثماني ساعات، وأعلنوا اشتراكية الصناعات، وتشكيل مجالس عمال تشارك في إدارة الأعمال والمصانع.

غير أن حالة من الفوضى الشاملة قد عمت أرجاء ألمانيا: فاندلعت الثورات وانهارت النظم، ولم يتعد سلطان حكومة برلين برلينَ نفسها. وصارت ألمانيا، على حد تعبير شيدمان نفسه، مجرد «مستشفى مجانين». وفي شرق ألمانيا وقعت المصادمات مع البولنديين، وفي بوزنان وبروسيا الشرقية ثار البولنديون ضد السيطرة الألمانية، ومنذ نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ أعلن ضم هذه المناطق الشاسعة إلى جمهورية بولندا. وفي الغرب والجنوب ثار الناس على «سيطرة برلين»، وصاحوا: «لنتحرر من برلين»! Los von Berlin، وظهرت حركات انفصالية في مناطق الرين والألب.

---

(١) اسبارتاكوس Spartacus: زعيم الأرقاء الثائرين في إيطاليا. وقد جمع حوله في سنة ٧٣ قبل الميلاد جماعة من المصارعين من كابوا، وانضم إليه جيش حقيقي من العبيد المتمردين. وأصله من تراقيا، قد ولد حرا، لكنه صار عبدا نتيجة لفراره من الفرقة التي كان يخدم فيها. وقد احتاج أمر إخماد هذه الثورة إلى عدة سنوات. ولم تخمد إلا بعد معارك طاحنة خاضتها الجيوش الرومانية بقيادة كراسوس، وانتصرت نهائيا على هذه الثورة في سنة ٧١ قبل الميلاد في معركة قتل فيها اسبارتاكوس.

وفـــي الغرب من ألمانيا عادت فلول الجيوش الألمانية من فرنســـا وبلجيكا، ولكنها بدأت في التمزق: فراح الجنود يتركون فرقهم من دون انتظار أوامر التسريح الرسمي. وتشـــكلت في كل مكان «مجالس جنود» إلى جانب «مجالس العمال»، واســـتولوا على السلطات والمسؤوليات. وفي برلين تشكلت «اللجنة التنفيذية للمجالس»، وادعت أنها الحاكمة في كل ألمانيا، وتدخلت في شـــؤون الحكم من دون أن يحســـب أي حســـاب للحكومة في برلين. ودب الشقاق بين المجموعات الاشتراكية.

هنالك تحركت حكومة إبرت لتخمد هذا الاضطراب الشامل. فتفاهم إبرت Ebert سرا مع الجنرال جرينر Groener الذي خلف الجنرال لودندورف، بقصد القضاء على الحركة الثورية. وفي هذا السبيل رأى دعوة الجمعية التأسيسية الوطنية لتحل محل مجالس العمال والجنود. واســـتعان في هذا أيضا بالنقابات، وكانت تضم الملايين من العمـــال. وهذه النقابات انضمت إلى موقف المعتدلين ضد الثوريين المتطرفين، وبدلا من الدعوة إلى «صراع الطبقات» نادت بـ «المشاركة في العمل»، بالتعاون بين الأجراء ورأس المال. ومنذ ١٥ نوفمبر نشـــأ تنظيم هائل، اجتمع فيه ممثلو النقابات العمالية وأصحاب الأعمال، وقد قصد منه إلى استمرار النشاط الاقتصادي العادي.

لكن «جماعة اســـبارتاكوس» بزعامة ليبكنشـــت، وروزا لكســـمبورج، هذه المهيجة المثيرة للفتن، عارضوا دعوة جمعية تأسيســـية من شـــأنها أن تأتي بنظام بورجوازي معاد للثورة الاجتماعية. وطالبـــوا بالدكتاتورية الكاملة لطبقة الأجراء (البروليتاريا) وتشييد نظام من «مجالس العمال» على غرار نظام السوفييتات.

وأفلحت الاشتراكية الديموقراطية (أو الديموقراطية الاشتراكية) في دعوتها إلى انتخـــاب جمعيـــة وطنية، واجتمعت هذه في ١٩ يناير ســـنة ١٩١٩. لكن كان الدم قد بدأ قبل ذلك يســـيل بغزارة. ففي ٦ ديســـمبر سنة ١٩١٨ نشبت معركة في برلين قُتل فيها ستة عشر. وفي ٢٣ و ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ وقع الصدام بين الجيش الرسمي والبحارة الثائرين. غير أن الاشـــتراكيين المستقلين فزعوا من العنف الذي لجأت إليه الحكومة، فانســـحبوا من «مجلس مندوبي الشـــعب»، ولم يبق فيه غير الاشتراكيين الديموقراطيين، وعلى رأســـهم نوســـكه Noske– وكان في الأصل نجارا – الذي صار حاكما لبرلين. وقام نوسكه هذا بإثارة حمية البقية الباقية من الجيش الألماني القديم من أجل القضاء على حركة الاسبارتاكيين.

ثم كان «الأسبوع الأحمر» في برلين من ٦ إلى ١١ يناير سنة ١٩١٩. وفيه انطلقت كل القوى الثورية المتطرفة وعلى رأسـها الاسبارتاكيون والمستقلون الذين احتلوا مقار الصحف الكبرى (حي الصحافة كما يسـمى في مسـرحية برشت هذه). لكن تولت الحكومة بمعونة الجيش القضاء على هؤلاء الثوريين المتطرفين، فسـقط منهم المئات العديدة في معارك في الشـوارع. ثم كان اغتيال ليبكنشت وصاحبته روزا لكسمبورج بعد ذلك ببضعة أيام هو النهاية لهذه الحركة الثورية. وهكذا وبعد شهور قليلة انزاح نهائيا خطر الشيوعية، بعد أن كان لينين، وقد انتصر في ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ في روسـيا، يمني نفسه أوسـع الأماني من انتصار الشيوعية في ألمانيا، ومن ثم يمتد ثم يمتد إلى سائر أوروبا(٢).

– ٢ –

وهذه الأحداث كلها تفترضها هذه المسرحية التي تصور جنديا عائدا من الحرب بعد أن انقطعت أخباره طوال أربع سـنوات عن خطيبته «أنا»، فيئسـت هي الأخرى، وانعقدت أواصر العلاقة بينها وبين فتى يدعى فريدرش مورك، كان عاملا، واستطاع الاسـتفادة من ظروف الحرب حتى كون ثروة كبيرة. وعلى الرغم من أن «أنا» Anna لم تكن تحمل له أي حب، فقد تطورت العلاقة بينهما إلى حد أنها أثمرت جنينا في أحشائها. وكان لا بد من عقد الزواج. وتم الاتفاق على عقد الخطبة في مساء يوم به تبدأ المسـرحية. لكن في الليلة ذاتها عاد أندرياس كراجلر، الجندي الحبيب المفقود منذ أربع سـنوات، وحضر إلى بيتها. وعلم أنها سـتعقد خطبتهـا بعد قليل في بار

(٢) لمزيد من الاطلاع راجع عن هذه الفترة:

a. M. Baumont et Marcel Berthelot: L’Allemagne. Lendemains de guerre et de révolution, Paris, 1922;

b. Albert Rivaud: Le relévement de l’Allemagne 1918-1938; Paris, 1938.

c. Hohfeld: Geschichte des deutschen Reiches, 1871-1926; Leipzig, 1926.

d. M. Baumont: La Faillite de la paix, 1918-1939. Coll. Peuples et civilisations. PUF, 1951, Paris.

بيكادلي، فراح إلى هناك. وهناك شاهدته أنا، ودارت مناقشات حامية بين كراجلر وبينها وبين الخطيب الجديد مورك. وعلى الرغم من أن «أنا» مالت إلى حبيبها القديم، فقد رأت أن ثم ما يحول بينهما، هو هذا الجنين الذي تحمله في بطنها من ذلك الشخص الآخر، مورك. فيُسقَط في يد كراجلر، ويهيم على وجهه. وفي تلك الليلة، ولا بد أن ذلك كان في «الأسبوع الأحمر» (٦ - ١١ يناير سنة ١٩١٩)، كان الاسبارتاكيون يحتلون حي الصحافة. فلم يجد كراجلر مخرجا، وهو اليائس البائس، إلا أن ينضم إلى الثوار - في أي صف، لا يخبرنا المؤلف. و«أنا» من ناحيتها لم تشأ الاستمرار في خطبة لا يهفو قلبها إليها، فراحت تبحث عن كراجلر، ويلتقيان أخيرا، فيصرفه هذا اللقاء عن الإقبال على مغامرته الثورية، لأنه لا يريد أن يكون مرة أخرى ألعوبة في أيدي الآخرين، وكفاه تجربته الأولى ألعوبة في أيدي مثيري الحروب، «لقد جاء الآن دور السرير، السرير الواسع الكبير الناصع البياض» كما قال داعيا «أنَّا» إلى الذهاب معه للعيش بسلام، والمحافظة على سلسلة نسبه.

- ٣ -

والمسرحية إذن سياسية تتعلق بأحداث جارية ساخنة، وقد ألفها في أوجسبورج مسقط رأسه، في سنة ١٩١٩، وهو في الحادية والعشرين. ومُثلت لأول مرة في منشن، في ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٢، بإخراج فالكنبيرج O. Falkenberg، ومثل إ. فابر E. Faber دور كراجلر.

وكان برشت يريد أن يكون عنوانها «اسبارتاكوس»، ولكنه عدل عن ذلك. والعنوان الجديد «طبول في الليل» يدين به برشت لصديقه ليون فويشتفانجر Lion Feuchtwanger القصصي والمؤلف المسرحي الذي كان يكبره بأربع عشرة سنة، وكان برشت قد تعرف إليه في نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن، فتصادقا صداقة استمرت حتى النهاية، وكثيرا ما كانا يعملان معا، ويلهم كل منهما الآخر أو يستلهمه.

ولما أراد برشت أن ينقح المسرحية من أجل طبعتها النهائية بعد ظهورها بأربع وثلاثين سنة، كتب يقول:

«مسرحية طبول في الليل هي من بين مسرحياتي الأولى أشدها التباسا. فالتمرد ضد اصطلاح أدبي مذموم قد أدى، في هذه الحالة، إلى إدانة حركة اجتماعية كبيرة. لقد كان من شأنه التسيير العادي، أي الاصطلاحي، للحكاية، أن يجعل الجندي العائد من الحرب، والذي انضم إلى الثورة، لأن حبيبته خُطبت إلى شخص آخر، إما أن يسترد حبيبته أو يتخلى عنها نهائيا، وفي كلتا الحالتين يستمر منخرطا في الثورة. وفي مسرحية طبول في الليل، مع ذلك، يسترد الجندي كراجلر حبيبته، على الرغم من أنه أهين، ويدير ظهره إلى الثورة ويتخلى عنها. ويبدو هذا أخسَّ الأوضاع الممكنة، خصوصا أنه يمكن أن يستدل منه على أن هوى مؤلف المسرحية هو مع هذا الحل.

وهأنذا أرى اليوم، أن روح المناقضة عندي قد أفضت بي إلى حدود اللامعقول، وإني لأكبت الرغبة في أن أنعت هذه الروح بأنها الشباب، لأني آمل أن تكون لاتزال لدي حتى اليوم من دون نقص.

والتصورات الدرامية في ذلك العهد، بدعواتها العريضة «للإنسان»، وحلولها المصطنعة غير الواقعية، كانت كريهة إلى نفس طالب البيولوجيا الذي كنته آنذاك. وكانوا يبتكرون من الهواء مجموعة من الناس «الطيبين» غير المحتمل وجودهم، ولا أثر لهم على كل حال، لأنها كانت تزعم، بنوع من الإدانة الأخلاقية، أنها قادرة على القضاء نهائيا على الحروب، والحروب في الواقع ظواهر معقدة مغروزة بعمق في النظام الاجتماعي.

ولم تكن لدي عن الثورة الروسية غير معلومات غامضة جدا... ويبدو أن معلوماتي لم تكن كافية كي تمكنني من فهم أهمية الثورة البروليتارية التي وقعت في شتاء سنة ١٩١٨ - سنة ١٩١٩ (في ألمانيا): وإنما كنت أرى فقط أن مشاركة فتاي «البطل» في هذه الثورة لم يكن بالأمر الجاد. والذين بدأوا الصراع كانوا من الأجراء (البروليتاريا)، وهو استفاد منها. وهم، من أجل الثورة، لم يحتاجوا إلى فقد أي شيء، وهو كان يمكن تعويضه. وكانوا مستعدين لحل مشكلته بواسطة مشاكهلم، ولكنه تخلى عن قضيتهم... كل هذا كنت قد أدركته آنذاك، لكنني لم أفلح في إبراز الثورة للمشاهد إلا بعيني «بطلي» كراجلر، ثم إن الثورة كانت مغامرة رومانتيكية...

ولم يكن من حقي (وأنا أعيد النظر في المســرحية) أن أمس بالتغيير شــخصية كراجلر، الذي يجســد البورجوازي الصغير. وكان لا بد أيضا من الاحتفاظ بالاطراد النســبي الذي ظفر بــه موقفه... غير أني قويت الجانب المعــارض، بأن أضفت إلى صاحب الحانة جلوب ابن أخ، كان عاملا شــابا ثوريا ســقط صريعا في أحداث أيام نوفمبر. وهذا الشــخص، وإن كان باهت الشــخصية هنا، هــو بمنزلة مقابل موازن للجندي كراجلر.

وأرجو أن يتمكن القارئ أو المشــاهد من أن يحوّل إلى كراهية ما استشــعره من عطف نحو بطل المسرحية، من دون أن يساعده على ذلك تأثير الإغراب».

وقد اعتمدنا في هذه الترجمة على هذه الرواية المنقحة للمســرحية، كما أقرها برشــت في مارس سنة ١٩٥٤، حين أعدها للطبع لدى الناشر سوركامب Suhrkamp (فــي فرانكفورت). على أن هذه الصورة المنقحة لا تختلف عن الصورة الأصلية التي ألفها برشت في سنة ١٩١٩ إلا في بعض جمل قليلة في الحوار الأخير، هي تلك التي تشير إلى ابن أخي جلوب. وإذن فالتعديلات هينة جدا.

وقد حصل برشت على جائزة كليست عن هذه المسرحية.

* * *

شخصيات المسرحية

أندرياس كراجلر — Andreas Karagler

أنا باليكه — Anna Balicke

كارل باليكه: أبوها — Karl Balicke

أماليا باليكه: أمها — Amalie Balicke

فريدرش مورك: خطيبها — Friedrich Murk

بابوش: صحافي — Babusch

رجلان

جلوب: تاجر خمور — Globb

مانكه: نادل في بار بيكادلي — Manke

أخوه ويدعى: مانكه – حب – العنب

رجل مخمور

بولتروتر: بائع صحف ينادي عليها — Bulltrotter

أوجستا، ماريا: مومسان — Augusta, Marie

لار: فلاح — Laar

عامل

خادمة

الممثل نفسه يمثل دوري الأخوين مانكه

(الكوميديا تجري أحداثها خلال ليلة من ليالي شهر نوفمبر، من الغروب حتى الفجر).

الفصل الأول

(أفريقيا)

في بيت آل باليكه

(غرفة مظلمة. في النوافذ ستائر من التُّل. وقت الغروب)

باليكه : (يحلق ذقنه أمام النافذة) مضت أربع سنوات منذ أن اعتبر مفقــودا. لن يعــود الآن. لا ندري ما يخبئه لنا المســتقبل. الرجــل يســاوي الآن وزنه ذهبــا. وأنا منــذ عامين كنت ســأبارك ذلك. لكن عاطفتك اللعينــة غلبتني على أمري. والآن عليّ أن أمشي على جثث.

السيدة باليكه : (أمام صــورة فوتوغرافية لكراجلر بــزيّ جندي المدفعية، وهــي معلقة علــى الحائط) لقد كان رجــلا طيبا، لطيفا، طفلا حقا.

باليكه : إنه الآن يتحلل.

السيدة باليكه : آه لو عاد!

باليكه : لا أحد يعود من السماء.

السيدة باليكه : بحق كل القديســين في النعيم، ســتلقي بنتنا أنَّا بنفســها حينئذ في الماء!

باليكه : إذا كانــت تقول هذا، فهي إوزة، وأنا لم أشــاهد حتى الآن إوزة في الماء.

السيدة باليكه : إني أراها في ذبول[*].

(*) الترجمة الحرفية: تبدو لي كأنها تبصق في بحر.

باليكه : مــا عليها إلا أن تكف عن التهام لدائن التوت والرنجة على طريقة بســمرك! إن مورك Murk شاب ممتاز، وعلينا أن نحمد الله راكعين على أنه بعث إلينا به.

السيدة باليكه : إنه يكســب أموالا، هذا حق. لكنه لو قورن بالآخر! عيناي تغرورقان بالدموع!

باليكه : لو قورن بجثة؟ أكرر لك: إما الآن، أو أبدا. ماذا تنتظر هي. البابا؟ ربما تنتظر زنجيا؟ شبعت من هذه القصة.

السيدة باليكه : ولــو عادت هذه الجثة التي تتحلل، كمــا تقول، لو عاد من الجنة أو من النار؟

(اسمي كراجلر) فمن ذا الذي سيقول له حينئذ إنه ليس إلا جثة، وإن خطيبته تنام في سرير شخص آخر؟

باليكه : أنا ســأكلمه، أنا! وإلى أن يقع شيء من هذا القبيل اذهبي أنت وقولي لتلك البنية: كفــى هــذا. وســنعزف مــارش الزفاف، وزفافها ســيكون إلى مورك. لو قلت أنا لها هذا، لأغرقتنا بالدموع. حسن، الآن أشعلي النور، من فضلك!

السيدة باليكه : أنا ذاهبة لإحضار المشَــمّع. بدون نور أنت تجرح نفســك دائما.

باليكه : الجرح لا يكلف شيئا، أما النور... (ينادي) أنّا!

أنّا : (عند عتبة الباب) ماذا تريد يا أبتاه؟

باليكه : أرجوك أن تصغي إلى ما ستقوله لك أمك، ولا تأخذي في النحيب في أجمل يوم في حياتك.

السيدة باليكه : اقتربي يا أنّا. أبوك يلاحظ عليك أنك شاحبة جدا، كأنك لا يغمض لك جفن طوال الليل.

أنّا : بلى، أنا أنام.

السيدة باليكه : اسمعي، الأمر لا يمكن أن يستمر هكذا إلى الأبد. الآن هو لن يعود.

(تشعل شموعا)

باليكه : ها هي ذي بدأت تبدي عن عيني التمساح!

السيدة باليكه : كان أمرا فظيعا بالنسبة إليك، ولقد كان رجلا طيبا، لكنه الآن مات.

باليكه : دُفِن وتحلل.

السيدة باليكه : كارل! ولديك الآن مورك، وهو رجل مجتهد، سعيد الحظ.

باليكه : ماذا تريدين أكثر من هذا؟

السيدة باليكه : إذن عليك، في نظري، أن تقولي «نعم» أمام الله.

باليكه : وخصوصا لا نريد منك أن تمثلي أمامنا هزلية.

السيدة باليكه : عليك أن تتخذيه زوجا أمام الله.

باليكه : (غاضبا هائجا لأنه لا يستطيع أن يلصق المشمع على صدغه) بحق الشيطان، هل تحسبين أن من الممكن اللعب بالكرة هكذا مع الفتيان؟ قولي «نعم» أو «لا». أما أن ترفعي بصرك نحو السماء فهذا بلاهة.

أنّا : إي، بابا!

باليكه : (متذمرا) هكذا! والآن خذي في البكاء، هَيّا، قد فتحت السدود، سأضع حالا طوق النجاة.

السيدة باليكه : مورك هذا، ألا تشعرين نحوه بأي حُب؟

باليكه : هذا بكل بساطة يتنافى مع الأخلاق الحميدة.

السيدة باليكه : اسمع يا كارل! قولي لي يا أنّا، ألا تستشعرين ذرة من الحب لفريدرش هذا؟

أنّا : بلى! لكنكما تعلمان جيدا حقيقة الأمر، ثم إني أشعر بتقزز...

باليكه : أنا لا أعلم شيئا. وإني أكرر لك: الشاب تحلل وأكله الدود، وهيكله العظمي انقسم إلى قطع صغيرة! ثلاث سنوات!

وكل طاقـم المدفعية الـذي كان فيه قد طـار! في الهواء! وتمـزق إربا إربا! مفقود! وسـيكون عجيبـا من يخبر أين ذهب! كل هذا ناشئ عن خوفك اللعين من الأشباح. اتخذي إذن زوجـا، وهنالك لن تخشـى من أي شـبح، إبّان الليل. (يذهب ناحية أنّا، ويصيح بصوت مرتفع) هيّا، هل أنت فتاة شجاعة، نعم أو لا؟ اقتربي قليلا.

(يسمع قرع)

أنّا : (مرتاعة) إنه هو.

باليكه : احتجزيه في الخارج وهيئيه!

السيدة باليكه : (عند الباب، وفي يدها سـلة الغسـيل) أليس عندك شيء للغسل؟

أنّا : بلى. كلا. كلا، أعتقد أنه ليس عندي شيء.

السيدة باليكه : ولكن اليوم هو اليوم الثامن.

أنّا : الثامن، حقا؟

السيدة باليكه : طبعا، الثامن.

أنّا : ثم ماذا؟ وحين نكون في اليوم الثامن عشر؟

باليكه : فيمَ تثرثران هكذا عند الباب؟ تعالي هنا.

السيدة باليكه : فتّشي عما إذا كان عندك شيء للغسل.

(تخرج)

باليكه : (يجلس، يضـع أنّا علـى ركبتيه) امرأة بـدون رجل، هذه معصية في حق الله. هذا الفتى الذي أرسـلوه إلى الجبهة أنت في شـوق إليه. ليكن. لكن هل أنـت تتذكرين وجهه؟ ليست لديك عنه أي فكرة، يابنيتي. موته جعل منه مانيكان احتفالات. ازداد جمالا طوال ثلاثة أعوام، وإذا لم يكن قد مات، فسـترين أنه يختلف تماما عمـا تتخيلينه. على أنه

تحلــل، وأؤكد لك أن منظره كريه: لم يعد لعشــيقك أنف. لكنك تفتقدينه. حســن، إذن اتخــذي رجلا آخر. الطبيعة تريد هذا. أترين؟ ستشعرين، حين تستيقظين، في الصباح، بأنك مثل الأرنب في حقل كرنب. وأنت لاتزال لك أطراف سليمة وشهية! وليس في هذا معصية لله، أؤكد لك.

أنّا : لكنني لا أســتطيع أن أنســاه! أبدا! أنت تريد أن تقنعني، لكني لا أستطيع!

باليكه : خذي مورك، وسينسيك الفتى الآخر.

أنّا : أنــا أحبه، وذات يوم لن أحب غيره، أما الآن، فإني لم أصل إلى هذا الحد.

باليكه : أوه، ســيجعلك تغيريــن فكرك، بشــرط أن يكون له عليك ســلطان كامل. أتفهمينني؟ وهذه الأمــور خير حل لها هو الــزواج. لا أســتطيع أن أشــرح لك هذا، فأنــت لاتزالين صغيرة.

(يدغدغها) إذن: اتفقنا؟

أنّا : (تضحــك مع شــيء من التكلــف) لا أدري هــل فريدرش يريد.

باليكه : يا امرأتي، تعالي.

السيدة باليكه : تفضل، في الصالون. ادخل، أرجوك، يا سيد مورك.

باليكه : مساء الخير، يامورك! ماذا بك؟ يبدو عليك كأنك جثة على الماء!

مورك : الآنسة أنّا.

باليكه : ماذا بك؟ هل حدث لك حادث أليم؟ كيف يكون المرء شاحبا كل هذا الشــحوب، ياصاحبي؟ ربما كان الســبب طلقات النار التي تســمع في الهواء في الســماء. (صمت). يا أنّا، اهتمي به.

(يخرج هو وزوجته بانطلاق)

أنّا : ماذا بك يافريدرش؟ أنت شاحب اللون جدا.

مورك : (مستتشقا) أهذا الشراب من أجل الخطبة؟ (صمت). هل جاء أحد؟ (يذهب ناحية أنّا) قولي لي، هل جاء أحد؟ لماذا صرت بيضاء كالغسيل؟ من الذي أتى؟

أنّا : لا أحد. لم يأت أحد. لكن ماذا بك أنت؟

مورك : إذن لماذا كل هذه العجلة؟ لا تروي لي حكايات. إن كان هذا يسره! لكني لا أخطب في مثل هذا المحل.

مورك : العجوز. عين السيد تجعل المواشي تسمن! (يتجول في الغرفة في قلق) آه، ثم ماذا؟

أنّا : أنت تتصرف كأن أبويّ هما الحريصان عليها. والله يعلم أنهما غير حريصين عليها أبدا. هذا، لا! فاهم؟

(تفرقع بأظافرها)

مورك : قولي لي، متى قمت بأول تناول؟

أنّا : أريد فقط، أن أقول إنك تأخذ الأمور بنوع من الاستخفاف.

مورك : آه، صحيح! الآخر؟

أنّا : أنا لم أتكلم عن الآخر.

مورك : لا، لكنه دائما حاضر، في مكان ما، يتجول حولنا.

أنّا : معه كان الأمر مختلفا تماما. إنك لا تستطيع أن تفهم. لقد كان الأمر معه على المستوى الروحي.

مورك : وبين كلينا نحن، ماذا هو؟ جسديّ؟

أنّا : بيننا لا يوجد شيء أبدا.

مورك : لكن الآن، هناك شيء مع ذلك!

أنّا : ماذا تدري عن هذا؟

مورك : آه عمّا قليل سأجعلك تغنين أغنية أخرى.

أنّا : مجرد كلام.

مورك : لكني سأطلب يدك.

أنّا : هل هذا تصريحك؟

مورك : لا، سيأتي بعد.

أنّا : على كل حال، إن كل ما لديك لتقدمه إليّ هو مصنع سلال ذخيرة.

مورك : يا لك من عفريتة! ألم يشعروا بشيء في الليلة الماضية؟

أنّا : أوه! فريدرش! إنهما ينامان نوما عميقا. (تلتصق به)

مورك : أما نحن.. فلا.

أنّا : يا شقيّ!

مورك : (يجذبها إليه ويقبلها، لكن بغير حرارة) يا عفريتة!

أنّا : صه، اسكت! قطار يسير في الليل. أتسمعه؟ أحيانا أخشى أن يأتي. وهذا يسبب لي عرقا باردا يسيل على ظهري.

مورك : من؟ المومياء؟ أنا كفيل به. لكني أقول لك: لا محل لهذا الفتى فيما بيننا. لا أريد أن يكون بيننا على السرير جيفة. أنا لا أحتمل أي منافس، فاهمة؟

أنّا : لا تغضب. يا فريدرش، اصفح عنّي.

مورك : دائما صاحبك أندرياس؟ رُؤَى! حين نتزوج سيكون ميتا مثلما كان في يوم دفنه. أتراهنين؟ (يضحك) أنا أراهن: ولد.

أنّا : (وهي تخفي وجهها في صدره) أرجوك! لا تقل مثل هذه الأشياء.

مورك : (بصراحة) سأشعر بالضيق! (نحو الباب) تستطيعين الدخول يا ماما! مساء الخير يا بابا!

السيدة باليكه	:	(وهي عند الباب) يا أولاد! (تأخذ في التنهد) هكذا، بدون تحفظ!
باليكه	:	ولادة عسرة، أليس كذلك؟ (عناق وانفعالات عامة)
مورك	:	توأمان. والزفاف، متى؟ الوقت من ذهب.
باليكه	:	بعد ثلاثة أسابيع، لو أردتما! السرير جاهز، يا ماما، العشاء.
السيدة باليكه	:	حالا، حالا! لكن دعني آخذ نَفَسي (تخرج). هكذا، بدون تحفظ!
مورك	:	اسمحا لي بأن أدعوكما إلى الشراب في بار «بيكادلي». أنا من أنصار الخطبة الفورية. وأنت يا أنّا؟
أنّا	:	إذا لزم الأمر!
باليكه	:	لكن يمكننا عمل هذا هنا! لماذا الذهاب إلى بار «بيكادلي»؟ ما هذه الفكرة الغريبة؟
مورك	:	(قلقا) لا، ليس هنا. هنا، لا يمكن.
باليكه	:	ما معنى هذا؟
أنّا	:	إنه غريب الأطوار. تعالوا إذن إلى بار «بيكادلي»!
باليكه	:	في ليلة كهذه؟ المرء يخاطر هكذا بحياته!
السيدة باليكه	:	(تدخل مع الخادمة التي تحضر الحساء) نعم يا أولاد! أي مفاجأة! لكن كل شيء يجوز أن يحصل. إلى المائدة يا سادة!
		(يأكلون)
باليكه	:	(رافعا رأسه) على صحة الخطيبين! (تُقرع الكؤوس) الأيام لا أمان لها. الحرب انتهت. يا أماليا، هذا الخنزير المحمَّر كثير الدهن! تسريح الجنود يؤدي إلى مزيد من الاضطراب، والنهب، والحيوانية في واحات العمل الهادئ.

مورك : تحيا سلال الذخيرة! على صحتك يا أنّا!

باليكه : عدد العناصر القلقة في تزايد مستمر. صيّادون في الماء العكر! والحكومة غير حازمة في مكافحة مستغلّي الثورة! (يفتح صحيفة) الجماهير الهائجة ليست لها مثل عليا. لكن أسوأ الجميع هم الجنود العائدون من الجبهة، أستطيع أن أقول هذا هنا. إنهم مغامرون، ودواب بلا أخلاق، قد فقدوا عادة العمل ولم يعد عندهم شيء مقدس. حقا إن عصرنا هذا عصر عصيب: والزوج، في هذه الأيام، يساوي وزنه ذهبا. يا أنّا، استندي إليه بشدة. واعملوا على اجتياز العقبة، ولكن كتفا إلى كتف. لا بد من اجتياز العقبات. على هناءة حبكم!

(يأخذ في ملء الفونوغراف)

مورك : (وهو يجفف جبينه الرطب) برافو! حين يكون المرء رجلا، فإنه يستطيع التخلص دائما. آه! لا بد للمرء من أن يتقن المزاحمة بالأكتاف، وانتعال الأحذية الحديدية، والرؤية بوضوح، من دون النظر إلى ما يدوس عليه. نعم، يا أنّا! أنا أيضا بدأت من لا شيء، أنا من أصل وضيع بسيط: صبي مراسلة، صبي ميكانيكي. عملية هنا، تدبيرة هناك. ويتعلم الإنسان شيئا عن يمين وعن شمال. وألمانيا كلها قد ارتفعت بهذه الطريقة. آه! لم يحمل الكل قفازات في أيديهم، ولكن يعلم الله كم بذلوا من جهود ومشقة. والآن صرت في أعلى السلم. على صحتك يا أنّا!

(الفونوغراف يعزف: «أيها الحب، حين تستولي علينا!»)

باليكه : برافو! حسن، يا أنّا، ماذا بك؟

أنّا : (قامت واستدارت نصف دورة) لا أدري. كل هذا جرى بسرعة جدا. إني أسائل نفسي يا أماه عمّا إذا كان هذا هو الطريق السليم...

السيدة باليكه : ماذا تقصدين يا ابنتي؟ يا لك من إوزة! على العكس، عليك أن تكوني راضية. ما الشيء الذي ليس بالسليم؟

باليكه : اجلسي! أو مادمتِ واقفة فاملئي الفونوغراف.
(أنّا تجلس. صمت)

مورك : إذن على غرامياتك! (يقرع كأسه بكأس أنّا). لكن ماذا بك؟

باليكه : وبمناسبة شغلتك يافرتز، شغلة سلال الذخيرة، أتعرف أنها لن تساوي شيئا بعد قليل. كلها ثمانية أيام أو خمسة عشر يوما من الحرب الأهلية، ثم ينتهي كل شيء! وأقول لك عن جد، أنا في ذهني شغلة عظيمة وهي: عربات للأطفال. المصنع لم يسر خيرا من هذا، من كل النواحي. (يمسك بمورك من ذراعه ويقتاده إلى العمق. يزيح ستائر النافذة) المبنى الجديد رقم ٢، والمبنى الجديد رقم ٣. صناعة ثابتة وحديثة. يا أنّا، املئي الفونوغراف! إن هذه الأسطوانة تهز كياني. (الفونوغراف يعزف: «ألمانيا، ألمانيا، قبل كل شيء»)

مورك : هناك رجل في فناء المصنع، من هو؟

أنّا : لكن هذا مروع. يخيل إليّ أنه يتطلع إلى هنا.

باليكه : يحتمل أن يكون الحارس. لماذا يضحكون يا فرتز؟ إن في ذهنك شيئا. إن السيدات كلهن شاحبات.

مورك : خطر ببالي شيء غريب: الاسبارتاكيون...

باليكه : هذا تغفيل! هذا لا يوجد عندنا! (ومع ذلك يتلفت متضايقا) هذا هو المصنع إذن. (يعود إلى المائدة، بينما أنّا تسدل الستائر). نعم، الحرب هي التي وضعتني على الغصن الأخضر الزاهر! كان الثراء مطروحا في عرض الطريق، فلماذا لا ينحني المرء ليلتقطه؟! إذن سيكون ذلك حماقة وغفلة. ولو لم ألتقطه أنا، لالتقطه غيري. إن شقاء البعض هو الذي يصنع سعادة البعض الآخر. ولو حسبنا

حساب كل الاعتبارات، لقلنا إن الحرب كانت فرصة مواتية لنا. لقد كدّسنا الأرباح، وملأنا الجيوب، ونحن في أمان. ونستطيع بكل اطمئنان أن نصنع عربات أولا. وبدون استعجال! موافق؟

مورك : موافق كل الموافقة يا بابا! على صحتك!

باليكه : وأنتما تستطيعان أن تتفرغا لصنع أطفال! ها! ها! ها!

الخادمة : حضر السيد بابوش، يا سيد باليكه.

بابوش : (يدخل باندفاع وإسراع) يا جماعة! أنتم في مأمن من سبت الجن الأحمر! اسبارتاكوس يعبئ رجاله. المفاوضات قطعت. وبعد أربع وعشرين ساعة سيزأر المدفع في برلين.

باليكه : (ولاتزال الفوطة حول رقبته) لكن هؤلاء الناس لم يقنعوا إذن! يا للشيطان.

السيدة باليكه : المدفع؟ يا إلهي! يا إلهي! يا لها من ليلة. آه! يا لها من ليلة! سأنزل إلى المخبأ يا باليكه!

بابوش : في وسط المدينة لايزال كل شيء هادئا، لكن يظهر أنهم سيحتلون مطابع الجرائد.

باليكه : ماذا؟ ونحن الذين نحتفل بالخطبة؟ يعملون هذا في هذا اليوم بالذات؟ يا لهم من مجانين!

مورك : لا بد من لصق هذا في الجدار!

باليكه : كل أولئك الساخطين في الجدار!

بابوش : أأنت الذي تخطب. يا باليكه؟

مورك : بابوش، خطيبتي!

السيدة باليكه : هكذا! فجأة! بغير تحفظ! لكن متى سيضربون بالمدافع؟

بابوش : (يصافح يدي أنّا ومورك) الاسبارتاكيون خزنوا أسلحة بكميات. هؤلاء الرعاع يعملون في الظلام. آه يا أنّا! لا تلقي

بالا! هنا لن يحدث شـــيء. هذا بيت هادئ! الأســـرة! نعم! الأسرة الألمانية! بيتي قلعتي(*) my home is my castle

السيدة باليكه : فـــي عصرنا! في عصرنا! وبالـــذات في أجمل يوم من أيام حياتك، يا أنّا.

بابوش : تعرفون يا جماعة أن الأمور غاية في التشويق.

باليكه : قليلا جدا بالنسبة إليّ! قليلا جدا!

(يمسح فمه بالفوطة)

مورك : ألا تعرف؟ تعال معنا إذن إلى بار بيكادلي! من أجل خطبتي

بابوش : والاسبارتاكيون؟(**)

باليكه : سينتظرون، يا بابوش. دعهم لتطلق عليهم النار. تعال معنا إلى بار بيكادلي! يا نساء، البسن ثيابكن.

السيدة باليكه : إلى بار بيكادلّي؟ وفي الليل ؟

(تجلس على كرسي)

باليكه : بار بيكادلّي، هذا الاسم القديم. الآن يسمى «مقهى الوطن». فريدرش يدعونا! وماذا يهم أن يكون الوقت ليلا؟ العربات، من أجل ماذا؟ هيا البسي ثيابك، يا عجوز!

السيدة باليكه : لن أخطو خطوة واحدة خارج البيت. ماذا جرى يافرتزي!

أنّا : إرادة الإنســـان هي جنته! مادام فريدرش يريد... (الجميع يتطلعون في مورك)

مورك : لا، ليس هنا. بأي ثمن. أنا أريد موسيقى، وأضواء. إنه محل ممتاز. كما سترون. أما هنا فالمكان مظلم جدا. لقد لبست ثيابي لهذا الغرض. ماذا تقولين في هذا إذن، يا حماتي؟

السيدة باليكه : لا أستطيع أن أفهم السبب.

(*) بالإنجليزية في الأصل الألماني.

(**) كان سبارتاكوس زعيما للعبيد المتمردين ضد روما، وقد قتل في سنة ٧١ ق. م.

(تخرج)

أنّا : انتظرني يا فريدرش، سأكون جاهزة في دقيقة.

بابوش : عجيب كل ما يجري الآن. كل الجهاز يطير. أيها الوُضعَاء، نَظّموا أنفسكم! وبهذه المناسبة أقول لكم إن المشمش الأصفر، الناضج، المملوء بالعصارة يساوي الرطل منه خمسة ماركات. أيها المتعطلون، لا تستجيبوا للاستثارة! في كل مكان، في المقاهي ذات الضوء الباهر يشاهد عصابات من الأشخاص المشبوهين، يَصّفِرون بوضع أصابعهم في أفواههم. وقد اتخذوا ما يسمونه جلودهم القديمة رايات! بينما صفوة المجتمع ترقص الفالس في المراقص! هيا، على نخب زواجك!

مورك : لا حاجة بالسيدات إلى تغيير زينتهن. الآن لا أهمية لشيء من هذا. بالزينة البراقة تلفتن النظر إليكن.

باليكه : هذا صحيح تماما. الأيام عصيبة. أقدم ملابس مستعملة تكفي لمثل هؤلاء الأوباش. انزلي حالا يا أنّا.

مورك : سنذهب نحن قبلكم. لا تغيري شيئا من ملابسك.

أنّا : جلف!

(تخرج)

باليكه : إلى الأمام، سِرْ! الاتجاه: الجنة بالموسيقى. عليّ أن أغير قميصي.

مورك : الحقي بنا أنت وأمك. وسنأخذ معنا بابوش باعتباره وصيفة، أليس كذلك؟ (يغني) بابوش، بابوش، بابوش يهرول في الصالة.

بابوش : دائما تكرر الكلام نفسه الصادر عن فتى مجنون، ألا تستطيع أن تتخلى عنه نهائيا؟

(يخرج معه متأبطا ذراعه)

مورك	:	(يســتمر في الغناء في الخارج) يا صبيان، مصوا إبهامكم، هذا أوان العربدة. أنّا!
باليكه	:	(وحده، يشــعل ســيجارة) الحمــد لله، خلصنــا من هذه المســألة! أوه، هذه البنت كم أرتنا العجب! لا بد من دفعها إلى الســرير بالقوة! وحبها الأبله لجيفــة! لقد بلّلت فيها قميصــي النظيف. والآن ليكن ما يكون. شــعارنا: عربات للأولاد. (يخرج) يا امرأة، هاتي قميصا.
أنّا	:	(من الخارج) فريدرش، فريدرش! (تدخل كالريح العاصفة) فريدرش!
مورك	:	(عند عتبة الباب) أنّا! (يتكلم بجفاف، إنه قلق، وعليه سيما الشمبانزي وذراعاه معلقتان وتهتزان) هل قررت، أولا؟
أنّا	:	ماذا بك؟ لو شاهدت نفسك في المرآة!
مورك	:	هل تأتين، نعم أولا؟ أنا أعلم ما أقول. دعي الحركات! ليكن الأمر واضحا تماما.
أنّا	:	نعم، نعم! هذا شيء جديد!
مورك	:	حســن، حسن. لســت متأكدا تماما من نفســي بعد. لقد عانيت الويلات وأنا أســكن طوال عشــرين سنة في غرفة الخادمات، واستشــعر البرد ينخر عظامي، والآن أنا ألبس أحذيــة ذات أزرار، انظــري إليها. وســال العرق مني في المــاء، على ضوء مصباح غاز رديء، وكلفني هذا الكثير من بصري. الآن يصنع ملابســي خياط. غير أني لســت بعدُ راسخا على قدميّ. ثم تيار من الهواء البارد، تيار من هواء مثلج عند الأرض يجمد الأقدام. (يذهب ناحية أنّا، من دون أن يمســها، ويظل واقفا أمامها وهو يتأرجح على قدميه). والآن يزدهــر النبات، الآن الخمــر يجري أمواجا. الآن أنا هناك. بلّني العرق، والعيــون مغلقة، والكف مقبوضة إلى

حد دخول الأظافر في لحم الكتف. انتهى هذا كله! شـيئا من الأمان! شيئا من الحرارة! لنخلع الأسمال البالية! سرير واسـع، وثير، وفرش أبيض. (حين يمـر عند النافذة يلقي نظرة سـريعة إلى الخارج) تعالي هاهنا: أنا أفتح القبضة، وأجلس تحت الشمس لابسا القميص، أنا الآن أملكك.

أنّا : (طائرة بين ذراعيه) حبيبي!

مورك : حبيبتي.

أنّا : الآن أنت تملكني، أليس كذلك؟

مورك : وأنت، لا شيء دائما؟

بابوش : (فـي الخارج) إذن يا جماعة؟ هل تأتون؟ هل تنسـون أنني مرافقكم الأمين؟!

مورك : (يمـلأ الفونوغـراف مـرة أخرى. صـوت يتغنّى بقـوة الحـب العارمة) أنا أحسـن رجل في العالم، بشـرط أن يتركوني أعمل.

(يخرجون وهم يمسكون بعضهم بأذرع بعض)

السيدة باليكه : (تدخل بحماسـة. تلبس ثوبا أسـود وتسوّي قبعتها كبوت. أمام الصوان ذي المرآة) القمر كبير، وأحمر اللون!.. إلهي! يـا أولاد! نعم... آه! في هذه الليلة نسـتطيع أن نحمد الله مرة أخرى.

(في هذه اللحظة يظهر في فتحة الباب رجل يلبس السترة العسـكرية الرسـمية لجندي مدفعية، لونها كحلي، وهي قذرة جدا. وفي يده غليون صغير)

الرجل : اسمي كراجلر!

السيدة باليكه : (تمسـك بمنضـدة الزينة حتـى لا تسـقط، وركبتاها ترتعدان) الله!

كراجلر : ماذا؟ لمــاذا تحملقين هكذا كأنك فــي عالم آخر؟ ضاعت نقود في الهواء من أجل التاج؟ يا للخسارة! أنا أقدم تقريرا عن نفســي: لقد أقمت في الجزائر شبحا. غير أن الجيفة صارت لها شهية عارمة. أشعر بأنني قادر على ابتلاع دود الأرض. لكن ماذا أصابك يا ســيدة باليكــه؟ هذه الأغنية ســخيفة. (يقف الفونوغراف. السيدة باليكه لا تنطق بعد بأي كلمة. بل تســتمر فــي التحديق فيه بشــدة، وعيناها مفتوحتان تماما)

كراجلر : لن يغمى عليــك، على الأقل؟ هذا كرســي. يمكن إحضار كوب ماء لك.

(بصــوت خفيض وهــو ذاهب إلــى البوفيه) إني أســترد ذكرياتي الآن هنا تقريبــا. (يصب خمرا في كأس). خمر! من نوع ريسلنج. لاتزال فيّ حيوية وإن كنت شبحا.

باليكه : (يدور في تلطف حول السيدة باليكه)

(مــن الخارج) هيّا، يا عجوزتــي، تعالي! هيا بنا! نعم، أنت جميلة، يا ملاكي العزيز!

(يدخل ويتوقف مذهولا، ونظرته جوفاء) ماذا؟

كراجلر : مســاء الخير، يا ســيد باليكه! زوجتك تشــعر بانقباض. (كراجلر يحاول أن يجعلها تشرب خمرا، لكنها تدير رأسها، وقد استولى عليها الرعب. باليكه ينظر إلى المسرح لحظة، وهو غاية في الحيرة)

كراجلر : اشــربي إذن! لا؟ ستتحســن حالك فورا. حسبت أنك كنت تتذكرينــي جيدا. ذلــك أني قادم من أفريقيــا فورا! عن طريق إســبانيا. مجهود كبير للاحتيال على جواز الســفر والباقي. والآن، أين أنّا؟

باليكه	:	بحــق اللــه إلا تركــت زوجتي في هــدوء. ألا تــرى أنك ستخنقها؟
كراجلر	:	لا!
السيدة باليكه	:	(تلوذ بالقرب من باليكه وقد ظل واقفا) كارل!
باليكه	:	(بلهجة جادة) يا ســيد كراجلر، إذا كنت حقا من تزعم أنه أنت، هل أستطيع أن أرجوك أن تخبرني بما جئت من أجله هاهنا؟
كراجلر	:	(مقطوع النَّفَس) لكني كنت أسيرا في أفريقيا.
باليكه	:	يــا لله! (يتوجــه ناحية صوان صغير فــي الحائط ويصب لنفســه كمية صغيرة من ماء الحياة ويبتلعها). حسن. هذه ضربة من ضرباتــك. مصيبة من المصائب. لكن ماذا تريد حقا؟ ماذا تريد؟ ابنتي خُطبت هذه الليلة بالذات، منذ أقل من نصف ساعة.
كراجلر	:	(يتردد متضايقا قليلا) ما معنى هذا؟
باليكه	:	لقد بقيت غائبا أربع ســنوات. وهــي انتظرتك طوال أربع ســنوات. ونحن انتظرنا أربع ســنوات. والآن قضي الأمر، ولم يعد لك ما تأمله هنا.
		(كراجلر يجلس)
باليكه	:	(غيــر واثق تماما من نفســه، لكنه يحــاول أن يظل رابط الجأش) يا سيد كراجلر، عندي التزامات في هذه الليلة.
كراجلر	:	(يرفع عينيه) التزامات...؟ (ساهما) نعم.. (يعود إلى حال اليأس)
السيدة باليكه	:	يا سيد كراجلر، لا تحمل الأمور محمل المأساة. ففي الدنيا فتيات كثيرات. هكذا حال الدنيا. تعلّم كيف تتألم، من دون أن تشكو!
كراجلر	:	أنّا...

باليكه : (بلهجة سـريعة) يا امرأة! (تذهب نحـوه بخطوة مترددة. باليكـه يقول بلهجة حازمة فجأة) آه! ثم إن هذا كله مجرد عواطف!

(يخرج مع زوجته. عند الباب تظهر الخادمة)

كراجلر : هِمّ!

(يهز رأسه)

الخادمة : السيدة والسـيد ذهبا. (صمت) السيدة والسيد ذهبا إلى بار بيكادلي للاحتفال بالخطبة.

(صمت. هزيم الريح)

كراجلر : (يرفع عينيه نحوها ببطء) هِمّ!

(ينهض بثقل، يتأمل الغرفة، يخطو بضع خطوات، منحنيا، يلقي نظرة من النافذة، يعود، يخرج ببطء بخطوات صغيرة، ورأسه عار، وهو يصفر صفيرا خفيفا)

الخادمة : هيه! يا سيد، طاقيتك! لقد نسيتَ طاقيتك.

* * *

الفصل الثاني

(الفلفل)

في بار بيكادلِّي

(فتحة كبيرة في العمق. موسيقى. من النافذة يشاهد قمر كبير أحمر. في كل مرة يُفتح فيها الباب تدخل الريح بقوة في الغرفة)

بابوش : هيــا، ادخلوا الزريبــة يا أولاد! هناك قمــر للجميع! يحيا اسبارتاكوس! كل هذا مجرد ترهات! ها نبيذ أحمر!

مورك : (يدخل تتأبط ذراعــه أنّا، يخلعان معطفيهما) ليلة كما في القصص. صيحات في حي الصحافة، خطيبان في عربة.

أنّا : لا أدري ماذا بي اليوم. كل فرائصي ترتعد. أشــعر بغثيان، ولا أستطيع التخلص منه.

بابوش : إذن على نخب غرامياتك، يا فريدرش!

مورك : هنا أشــعر بأني فــي بيتي. مع طول الإقامــة يقل الأنس، ولكنه محل ممتاز! انظر إذن يا بابوش، ماذا يصير إليه أمر الجيل الماضي!

بابوش : حسن! (يخرج) وأنت، اهتم بالجيل المقبل. (يشرب)

أنّا : قبّلني.

مورك : هل أنت مجنونة؟ إن نصف برلين يتطلع إلينا.

أنّا : وماذا يهم! أنا، حين أريد شــيئا، فما عداه يســتوي عندي! وأنت ألست كذلك أيضا؟

مورك : أبدا. وأنت أيضا كذلك.

أنّا : كم أنت جلف!

مورك : لكن الأمر هكذا!

أنّا : جبان!

(مورك يضغط على زر الجرس (يدخل نادل)

مورك : انتباه!

(ينحني من فوق المائدة، ويقلب الأكواب ويقبِّل أنّا بالقوة)

أنّا : أنت الآخر!

مورك : كفى! (النادل يخرج) إذن أنا جبان؟ (ينظر تحت المائدة الآن لم تعودي في حاجة إلى ركلي بقدمك.

أنّا : ما حكايتك؟

مورك : وسيكون سيّدك ومولاك.

باليكه : (يدخل مع بابوش والسيدة باليكه) آه! هاهما! الزوجان!

أنّا : أين ذهبتم؟

السيدة باليكه : القمر أحمر تماما. وهذا يقلقني. أن أراه أحمر هكذا. ولاتزال تُسمع صيحات آتية من حي الصحافة!

بابوش : ذئاب!

السيدة باليكه : ابقيا معا أنتما خصوصا.

باليكه : معا في سرير واحد، أليس حقا يا فريدرش؟

أنّا : ماما، أتشعرين بعدم ارتياح؟

السيدة باليكه : متى ستتزوجان؟ قولا.

مورك : بعد ثلاثة أسابع، يا أماه!

السيدة باليكه : كان من الواجب أن ندعو إلى الخطبة عددا أكبر من الناس. لا يعلم أحد. ومع ذلك ينبغي أن يكون هذا معلوما للناس.

باليكه : ترهــات! ترهات! وكل هــذا لأن الذئب أخذ فــي العواء! دعيــه يعوِ! إلى أن يلتصق لســانه الأحمر بالتراب! أما أنا فسأقضيَ عليه بضربة قاضية.

بابوش : يــا مورك، ســاعدني على فتــح هذه الزجاجــة. (بصوت خفيــض) إنه موجود هنا. جاء مع القمر. وصل الذئب مع القمر. عاد من أفريقيا.

مورك : أندرياس كراجلر؟

بابوش : نعم، الذئب! بليّة، أليس كذلك؟

مورك : لكنه قد تم دفنه. أسدلوا الستائر إذن!

السيدة باليكه : ونحن قادمون، توقف أبوك في كل الحانات. والآن هو غاية في الســكر. هذا رجل! آه! نعم، وأي رجل! إنه يسكر حتى الموت من أجل أولاده.

أنّا : ولماذا يفعل هذا؟

السيدة باليكه : لا تلقي بأســئلة، يابنيتي. وخصوصا لا تسأليني عن شيء. كل شيء انقلب ظهرا على عقب. هذه نهاية العالم. بسرعة، أنا في حاجة إلى كأس من الكيرش Kirsch.

باليكه : الغلطة ببســاطة هي غلطة.. هذا القمر الأحمر! أســدلوا إذن الستائر.

(النادل يسدل الستائر)

بابوش : هل كنت تعرف هذا؟

مورك : أنا متأهب لهذا إلى أقصى درجة. هل حضر إلى البيت؟

بابوش : نعم، منذ قليل.

مورك : إذن سيأتي إلى هنا.

باليكه : هـل تتآمرون مـن وراء الزجاجات، تعاليا واجلسا هاهنا! ولنحتفل بالخطبة. (الجميع يجلسون حول المائدة) وبسرعة! فليس عندي وقت للتعب!

أنّا : هوه! والفَرس! كم كان عجيبا! لقد توقف في وسط الطريق. نـزل فريدرش، ولكن الفَرَس لم يعبأ. بقي واقفا هناك في وسـط الشارع. وكان يرتعد. لكن عينيه كانتا تشبهان عيني الذئـب، فغمزه فريدرش في عينيه بطـرف عصاه، فوثب الفَرَس. كما لو كنا في السيرك.

باليكه : الوقت من ذهب. الجو حـار جدا هنا. العرق يتصبب مني من جديد – لقد بللت اليوم قميصا من عرقي.

السيدة باليكه : إذا اسـتمرت الأمور على هذا النحو، فسـتفلس من أجور الغسل.

بابوش : (يأكل قراصيا استخرجها من جيبه) في هذه الأيام، الرطل من المشـمش يساوي عشـرة ماركات، ليكن! سأكتب مقالا عن ارتفاع الأسعار. وبهذا أستطيع شراء مشمش. لو كانت هذه هـي نهاية العالم لكتبت بحثا عـن نهاية العالم. لكن الآخرين، ماذا سـيفعلون؟ أنا، لـو أن حيّ حديقة الحيوان دمرّ، ونُسف، فأنا كالسمكة في الماء. أما أنت؟

مورك : نحـن نتحدث عن القمصان، وعن المشـمش، وعن حديقة الحيوان. ولكن الزفاف، متى سيكون؟

باليكه : بعد ثلاثة أسابيع! الزفاف بعد ثلاثة أسابيع! مرحى! ولتكن السماء شهيدة على ما أقول. ألسنا متفقين على هذا نحن جميعـا؟ الكل موافقون على الزفاف، حسـن، إذن هيا بنا إلى الخطبة! (تقرع الكؤوس. فتح الباب. كراجلر واقف في فتحة الباب. الريح تزعزع شعلة الشموع)

باليكه	:	لكن! لماذا ترتعدين يا أنّا أنت وكأسـك؟ هل تصنعين صنع أمك؟ (أنّا، وكانت جالسة في مواجهة الباب، شاهدت، وفي الحال انهارت على نفسها، أنها تحدق فيه)
السيدة باليكه	:	يسوع، مريم، يوسف! ماذا جرى لك يا ابنتي؟
مورك	:	من أين تأتي هذه الريح؟
كراجلر	:	(بصوت مبحوح) أنّا!

(تصيح، تطلق صيحة خفيفة.. الكل يلتفتون، ويقفون فجأة. هياج واضطراب)

باليكه	:	يا لله! (يبتلع كأسا من الخمر) الشبح!
السيدة باليكه	:	يسوع! كرا...
مورك	:	اخرج! اخرج!

(بقي كراجلر لحظة مترددا عند عتبة الباب، ووجهه مكتئب. وفي أثناء هذه اللحظة من الاضطراب اتجه بسرعة، ولكن بثقل، نحو أنّا، وكانت هي الوحيدة التي لم تقف. وكراجلر ينتزع الكأس من يدها المرتعدة أمام وجهها، ويحدق فيها مستندا إلى المائدة)

باليكه	:	لكنه سكران!
مورك	:	يا جارسون! انتهاك لحرمة المكان. أخرجه من هنا! (هو يجري على طول الحائط، يجعل الستارة تنزل. القمر)
بابوش	:	انتبه! إنه إنسان تحت قميصه لحم فج! وهذا يلدغ، لا تمسسه! (يضرب على المائدة بعصاه) لا تحدث فضيحة هنا! اخرج بهدوء! اخرج بنظام!
أنّا	:	(نهضت من كرسيها في تلك الأثناء، وألقت بنفسها حول أمها) أماه، النجدة! (كراجلر يدور حول المائدة، ويمشي مترنحا ناحية أنّا، والأقوال التالية يُنْطَق بها في الوقت نفسه تقريبا)

السيدة باليكه : لا تعتدِ على حياة بنتي! ستوضع في الحديد، في السجن المؤبد! يا يسوع! يا مريم! إنه سيقتلها.

باليكه : (من بعيد، وهو يضخم صوته) هل أنت مخمور يا صعلوك! يا فوضوي! يا مسرَّح! يا قرصان! يا شبح! أين تركت مفرش سريرك؟

بابوش : إذا كنت مصابا بالسكتة القلبية، فلتعلم أنه هو الذي سيتزوجها! أغلق فمك! إنه هو الخاسر هنا. اخرج! له الحق في أن يقول كلمة. نعم له الحق في هذا. (مخاطبا السيدة باليكه) أليس لك قلب؟ لقد كان غائبا منذ أربع سنوات. المسألة عاطفة وقلب..

السيدة باليكه : إنها لا تكاد تقف على ساقيها، إنها شاحبة مثل المفرش.

بابوش : (مخاطبا مورك) انظر مع ذلك إلى وجهه! إنها لاحظت ذلك! وهو الذي كانت بشرته مثل اللبن وخداه مثل الخوخ! أما اليوم فيبدو كأنه بلح مجفف. لا تقلق إذن.

(يخرجون)

مورك : إذا كنت تعني بكلامك الغيرة، فلا محل للغيرة عندي.

باليكه : (يبقى لحظة.. في منتصف المسافة بين الباب والمائدة، وهو سكران قليلا، وساقاه متعانقتان، وفي يده الكأس، وهو يقول) هذه العربة الزنجية! وجه مثل... مثل فيل هرم! مقضي عليه تماما، هذا! لا حياء! (ثم يخرج بخطوات بطيئة، ولا يبقى على المسرح غير الجارسون، عن يمين الباب، وفي يده صينية، الموسيقى تعزف: «سلام لكِ يا مريم!» من موسيقى جونو Gounod. الظلام يغشى المكان)

كراجلر : (بعد برهة) امّحى كل شيء في رأسي. كأنما لم يَبْقَ بعدُ غيرُ العرق. لست أفهم بعدُ شيئا.

أنّـا : (تأخذ شمعة وتضيء بها أمام وجهه) ألم يأكلك السمك؟

كراجلر : لا أفهم ماذا تقصدين.

أنّا : ألم يقذف بك في الهواء؟

كراجلر : لا أفهمك.

أنّا : ألم تصبك رصاصة في وجهك؟

كراجلر : لماذا تتطلعين فيّ هكذا؟ هل يُرى شيء من هذا على وجهي؟ (صمت. يطل من النافذة) لقد حضرتُ إليك كحيوان عجوز. (صمت) بشرتي كلها سوداء، كأنها جلد سمك القرش. (صمت) وقديما كانت بشرتي بيضاء كاللبن، وفي خدودي تجري الدماء. (صمت) والآن أنا أنزف، دمي لا يكف عن المسيل، وأنا أشعر به وهو يسيل، يسيل...

أنّا : أندريه!

كراجلر : نعم.

أنّا : (تذهب نحوه، مترددة) أوه، أندريه! لماذا تغيبت كل هذه المدة الطويلة؟ هل أمسكوك بمدافعهم وسيوفهم؟ والآن لا أستطيع أن ألحق بك.

كراجلر : هل كنت غائبا حقا؟

أنّا : في البداية بقيت طويلا بالقرب مني، وكان صوتك لايزال حيا. وحين كنت أمرّ في الدهليز، كنت أَمَسُّك، وفي البرج كنت تدعوني خلف أيكة الإسفنديان. وعبثا كتبوا أنك أصبت برصاصة استقرت في رأسك، وأنك دُفنت بعد ذلك بيومين. لكن في ذات يوم تغير هذا. لما مررت في الدهليز، شعرت بأنه ليس هناك أحد، وبقي الإسفنديان صامتا. وحين كنت أنهض من حوض الغسل، كنت لا أزال أرى وجهك، ولكن حين كنت أنشر الغسيل على المرج، لم أعد أراك، وفي هذه الأثناء لم أعد أعرف كيف أتذكر صورتك. لكن كان ينبغي عليّ أن أنتظر.

كراجلر : كان لا بد لك من صورة فوتوغرافية.

أنّا : كنــت خائفة. وكان ينبغي علــيّ أن أنتظر، برغم مخاوفي، لكنني شريرة. اترك يدي، فكل شيء فيّ شرير.

كراجلر : (وهــو يتطلع ناحية النافذة) لا أفهــم ما تقولين. لكن ربما كانت الغلطة غلطة هذا القمر الأحمر. لا بد لي من التفكير كيمــا أفهم كلماتك. إن لي كفــين منتفختين وكأنهما ذواتا أصابع متلاصقة.. لســت رجـلا مــن أهـل الخـير، وحـين أشـرب أكسـر الـكأس التي أمسـك بهـا. لا أستطيع بعـد أن أتكلــم معك كمـا ينبغي. لقـد بقيــت لهجـة العبيـد الزنوج في حلقي.

أنّا : نعم.

كراجلر : هاتي يدك. أتعتقدين أنني شبح؟ تعالَي بالقرب مني. هاتي يدك. ألا تريدين أن تأتي بالقرب مني.

أنّا : أتريد يدي؟

كراجلر : هاتيها. الآن لم أعد شــبحا. أتذكرين وجهي؟ هل بشــرتي كجلد التمســاح؟ إن سحنتي قبيحة. لقد بقيت وقتا طويلا في ماء الخل. دائما هذا القمر الأحمر!

أنّا : نعم.

كراجلر : خــذي يدي، أنــت أيضا – لماذا لا تضغطــين عليها؟ قربي وجهك. هل الأمر خطير إلى هذا الحد؟

أنّا : كلا! كلا!

كراجلر : (يمســكها من كتفيها) أنّا! زنجي عجــوز! هذا هو أنا! في حلقي طين! أربع سنوات! هل تريدينني، يا أنّا؟

(يجعلها تدور معه في الغرفة، ويلمح الجارسون ويحدق فيه هازئا، وجسمه منحن إلى الأمام)

الجارسون	:	(لدهشته تسقط منه الصينية ويأخذ في الفأفأة) المهم... هــو... أن نعرف هل احتفظت بزنبقتها... هل لاتزال معها زنبقتها...
كراجلر	:	(بدون أن يترك أنّا، يأخذ في الصهيل) ماذا قال؟ زنبقتها؟ (الجارسون يخرج وهو يعدو). لكن قف، يا قارئ الروايات. زنبقتها! اســمعي الكلمة التي خرجت منه! أسمعتها؟ لقد قالها بعاطفة مشبوبة!
أنّا	:	أندريه!
كراجلر	:	(يتطلــع فيها، منحنيا إلى الأمام. لقد ترك أنّا) قوليها مرة أخرى! إني أســتعيد الآن صوتك. (يعدو ناحية اليمين) يا جارسون! تعال هنا، أيها الصديق!
بابوش	:	(من عنــد الباب) ما أعجب ضحكتــك! ضحكة من لحم. ضحكة مثل بركة دم! هل تحسّ بأن حالتك أحسن؟
السيدة باليكه	:	(خلفه) أنّا، يا ابنتي! كم تثيرين فينا القلق عليك.
		(في الغرفة المجاورة يعزف «فتاة بيرو»)
باليكه	:	(يدخل مســرعا وقد خف سكره) اجلســوا! (يعيد إسدال الســتائر، يســمع صوتُ حديدٍ). القمر الأحمــر أمامكم، والبنــادق من ورائكم في حيّ الصحافة. لا بد من الاعتماد عليكم. (يعيد إشعال كل الشموع) اجلسوا!
السيدة باليكه	:	كم وجهك مقطب! عاد الارتعاد إلى فرائصي. يا جارسون! يا جارسون!
باليكه	:	أين مورك؟
بابوش	:	فريدرش مورك يرقص رقصة بوسطن.
باليكه	:	(برقــة) اعمل على إجلاســه. فحين يكون جالســا يكون نصف مملوك لنا. وإذا جلس، لم يعد هناك مجال للعبارات الطنّانة! (بصوت عال) اجلســوا جميعا! صمت! يا أماليا،

اضبطي نفسـك! (مخاطبا كراجلر) بحق الله إلا جلسـت أنت أيضا.

السيدة باليكه : (تأخـذ زجاجـة من شـراب الكيـرش كانت علـى صينية الجارسـون) شـيئا من الكيرش، وإلا متّ (تفلح مع ذلك في الوصول إلى المائدة ومعها زجاجتها. وقد جلس كل من السيدة باليكـه، باليكه، وأنّا. وبابوش دار حول المائدة لإجلاسـهم. والآن أمسك كراجلر، وكان قد بقي واقفا لا يتحرك، أمسكه من كتفيه وأرغمه على الجلوس على كرسي)

بابوش : اجلـس، فأنت غير ثابـت على قدميك! أتريـد قليلا من الكيـرش؟ من أين لك هذه الطريقة في الضحك؟ (كراجلر ينهض. بابوش يرغمه على الجلوس. يبقى جالسا)

باليكه : يا أندرياس كراجلر، ماذا تريد؟

السيدة باليكه : يا سيد كراجلر! إمبراطورنا قال: يجب أن يعرف المرء كيف يتألم من دون أن يشكو!

أنّا : ابق جالسا.

باليكه : أنتِ، اسكتي. دعيه يتكلم. ماذا تريد؟

بابوش : (يقف) ربما تريد جرعة من الكيرش؟ تكلم!

أنّا : فكّر جيدا، يا أندريه! لا تقل شيئا قبل أن تفكر!

السيدة باليكه : آه! أتريديـن إذن موتـي! أمسـكي عليك لسـانك. أنت لا تفهمين شيئا في أي شيء.

كراجلر : (يريد أن يقف، لكن بابوش يمسـكه جالسـا على كرسيه. بجهد كبير) لو سـألتموني، فليس من السهل الجواب. ولا أريد أن أشرب كيرش. الأمر مهم جدا.

باليكه : دعـك من هذه الترهات! قل ما بدا لك. وبعد ذلك، أقذف بك إلى الخارج.

أنّا : لا، لا.

بابوش	:	يجب عليك أن تشرب. أؤكد لك. أن ريقك جاف. صدقني. سيتحسن حالك، بعد أن تشرب!
		(فـــي هذه اللحظة يتقدم فريـــدرش مورك وهو يرقص مع ماريّا، المومس)
السيدة باليكه	:	مورك!
بابوش	:	هناك قواعد حتى بالنسبة إلى العبقري. اجلس.
باليكه	:	برافو يـــا فرتز Fritz! بيّن لهذا الشـــخص من هو الرجل. فرتز لا يرتعد. فرتز يرقّه عن نفسه. (يصفق)
مورك	:	(بطلعة حزينة، لقد شـــرب. يترك ماريّا واقفة، ويقترب من المائدة) ألم تنته بعدُ هذه المهزلة القذرة؟
باليكه	:	(يجره على كرسي) اسكت!
بابوش	:	استمر يا كراجلر! لا تتأثر بهذا.
كراجلر	:	إن له أذنين ضامرتين.
أنّا	:	لقد كان مراسلة!
مورك	:	في رأسه بيضة.
كراجلر	:	فليذهب!
مورك	:	وقد ضربوه على جمجمته.
كراجلر	:	يجب عليّ أن أحتاط في الكلام.
مورك	:	وهذا ما يجعله الآن في رأسه بيضة مخفوقة.
كراجلر	:	صحيح! لقد ضربوني على جمجمتي. وكنت غائبا عن هنا طوال أربع ســـنوات. ولم أكن أستطيع الكتابة. ولم تكن في مخيّ بيضة. (صمت) كان ذلك منذ أربع سنوات، وعليّ أن أحتاط تماما. وأنت لم تتعرفينـــي بعد، ولاتزالين تترددين ولا تشعرين بذلك بعد. لكني أتكلم كثيرا.
السيدة باليكه	:	مخّه تصلّب تماما.
		(تهز رأسها)

باليكه	:	تريد أن تقول إن حياتك لم تكن بالميسورة؟ لقد حاربت من أجل الإمبراطور والريّش Reich؟ متأسف من أجلك. هل تريد شيئا؟
السيدة باليكه	:	والإمبراطور قال: يجب أن يكون المرء قويا في الألم. اشرب جرعة، خذ!
		(تدفع الكيرش إليه)
باليكه	:	(وهو يشرب، محاولا إقناعه) لقد صمدت أمام نار المدافع، أليس كذلك؟ كالصخر؟ هذا عظيم. جيشنا صنع المعجزات. وقد واجه الموت ببطولة، والابتسامة على الشفاه. اشرب! ماذا تريد؟
		(يقدم إليه علبة السيجار)
أنّا	:	أندريه ! ألم تلبس بزة رسمية أخرى؟ ألاتزال تلبس الأزرق، ذلك الذي كان عندك قديما؟ لم يعد أحد يلبسه بعد!
السيدة باليكه	:	النساء كثيرات! يا جارسون! هات كيرشا آخر!
		(تقدم إلى كراجلر من الكيرش)
باليكه	:	ونحن هنا أيضا لم نبق متعطلين لا نفعل شيئا. إذن، ماذا تريد؟ ليس في جيبك مليم؟ أنت في الشارع؟ الوطن ألجأك إلى الغناء في الأفنية بأرغن الشحاذين؟ لا. هذه أمور يجب ألا تحدث. ماذا تريد؟
السيدة باليكه	:	لا تخف، لن تعزف بأرغن الشحاذين في الأفنية.
أنّا	:	في الليل تهزم الريح، والبحر عال، مرحى!
كراجلر	:	(وقد نهض) لما كنت أشعر جيدا بأنني ليس لي أي حق هاهنا، فإني أرجوك، من أعمق أعماق قلبي، أن ترحلي معي، بجانبي.
باليكه	:	ما معنى هذه الثرثرة؟ ماذا يقول؟ من أعمق أعماق قلبي! بجانبي! ما هذه العبارات؟
		(الآخرون يضحكون)

كراجلر	:	لأنه ليس من حق أحد في العالم... ولأنني لا أســتطيع أن أعيش من دونك... من أعمق أعماق قلبي.
		(قهقهة كبيرة عالية)
مورك	:	(وقد وضع قدمه على المائدة. بلهجـة بـاردة، وشريرة، وهو سكران) غُسِل غَسْلا. التُقِط. والطين في فمـه. انظـر إذن إلــى حذائي! قديما كانت عنـدي نعــال مثل نعالك! اذهب إذن واشترِ مـثل حذائي! وعُـدّ بعد ذلك! أتعرف من أنت؟
ماريا	:	(بسرعة، فجأة) هل كنت في الجبهة؟
الجارسون	:	هل كنت في الجبهة؟
مورك	:	وأنت، أغلق فوهتك! (مخاطبا كراجلر) لقد ســحبت نمرة خاســرة، لقد مررت تحت الأســطوانة؟ لست الوحيد في هذا، فالكثيرون مروا بالشــيء نفســه. حسن! لسنا نحن الذين حركنا الماكينــة. لم يعد لك وجه؟ هل تريد أن يُدفع لــك ثمن وجه؟ هــل نلصق ثلاثة على جلــدك؟ أمن أجلنا انحدرت هذا المنحدر؟ أتريد أن يقال لك من أنت؟
بابوش	:	شيئا من الهدوء، هيا.
الجارسون	:	(وهو يتقدم) هل كنت في الجبهة؟
مورك	:	لا. أنا من أولئك المكلفين بدفع ثمن مغامراتك. الماكينة فسدت.
بابوش	:	دعوكم من هذه الحكايات! فهذا شــيء يبعث على الضيق. لأنك على كل حال كســبت أموالا. أليس كذلك؟ دعك إذن من حذائك.
باليكه	:	ومع هذا فإن هذا هو المهم. هنا مربط الفرس. ليست هذه حكايات. هذه هي الواقعية السياسية. وهذا ما نفتقر إليه، خصوصا في ألمانيا. المسألة غاية في البساطة. هل عندك الوسائل لإطعام زوجة؟ أوليس عندك غير كفيك المنتفختين الملتصقتى الأصابع؟

السيدة باليكه : سامعة يا أنّا؟ ليس عنده شَرْوى نقير.

مورك : أنا مستعد لأن أتزوج أمه، لو كان عنده شيء. (يقفز) إنه مجرد محتال على الزواج، مبتذل.

الجارسون : (مخاطبا كراجلر) قل شيئا! تكلم؟

كراجلر : (وقف، يوجه الكلام إلى أنّا وهو يرتعد) لا أدري ما يجب عليّ أن أقوله. حينما لم يكن عندنا غير جلدنا الذي يغطي عظامنا، ومن أجل أن نقدر على الاستمرار في تكسير الحصى على الطريق كنا نعبّ من الكحول عبا. كثيرا ما كان يحدث ألا يكون عندنا من وسيلة غير أن نتطلع إلى السماء، في المساء، لكن هذا مهم جدا، لأننا في أبريل بقينا معا، راقدين في الأدغال. كنت أقول هذا للزملاء. لكنهم كانوا يتساقطون كالذباب.

أنّا : كالخيول، أليس كذلك؟

كراجلر : لأن الجو كان حارا جدا، ولم نتوقف عن الشراب. لكن هل لي أن أحدثك عن السماء في المساء؟ لم تكن تلك نيتي، ولا أدري...

أنّا : ألم تكف عن التفكير فيّ؟

السيدة باليكه : أتسمعينه؟ إنه يتكلم كالطفل! المرء حين يسمعه يخجل له.

مورك : ألا تستطيع أن تبيعني حذاءك؟ من أجل المتحف الحربي. أنا مستعد لأن أدفع فيه أربعين ماركا.

بابوش : استمر يا كراجلر. هذا ما ينبغي أن يقال.

كراجلر : ولم يكن عندنا قمصان. كنا في أسوأ حال، صدقيني. أتعتقدين أن أسوأ شيء ألا يكون عندنا قمصان؟

أنّا : أندريه! نحن نصغي إليك .

مورك : إذن أنا أعرض عليك ستين ماركا. بع!

كراجلر : نعم، الآن أنت تخجلين لأجلي، أليس كذلك؟ لأنهم يجلسون هناك على طول الحائط كما في السيرك حين يستولي الفزع على الفيل إلى درجة أنه يبول على الأرض. ومع ذلك فإنهم لا يفقهون شيئا.

مورك : ثمانين ماركا.

كراجلر : ومع ذلك فلست قرصانا. ماذا يهمني من هذا القمر الأحمر؟! لا أستطيع أن أفتح عيني، هذا كل ما في الأمر. أنا كتلة من اللحم، وألبس قميصا نظيفا. ها أنتم أولاء ترون أنني لست شبحا.

مورك : (يقفز) إذن مائة مارك.

ماريا : يجب عليك أن تخجل حتى أعماق نفسك.

مورك : وهذا الوغد لا يريد أن يتخلى لي عن حذائه مقابل مائة مارك!

كراجلر : أنّا، هناك شيء يتكلم. أي صوت هذا؟

مورك : أصابتك ضربة شمس! هل أنت قادر على الخروج وحدك؟

كراجلر : يا أنّا، الصوت يقول إنه لا حق لنا في سحقه.

مورك : هل هو وجهك حقا الذي نراه الآن؟

كراجلر : يا أنّا، ومع ذلك فإن الله الحكيم هو الذي خلقه.

مورك : هل أنت حقا الماثل أمامنا هنا؟ ماذا تريد بالضبط؟ لكنك لست إلا جثة! متعفنة بالفعل! (يسد أنفه) أليس عندك أي إحساس بالنظافة؟ أتريد أن يضعوك في هيكل، لأنك تشربت شمس أفريقيا؟ أنا، أنا اشتغلت! تعبت حتى امتلأت أحذيتي بالدم! انظر إلى يديّ! أنت تحظى بالعطف العام، لأنك حاربت وضُربت. لكن لست أنا الذي ضربتك. أنت بطل، لكني أنا شغّال. وهي، هي خطيبتي.

بابوش : ولكن يا مورك، حتى وأنت جالس، أنت شـغّال! يا كراجلر، كان تاريخ العالم سيتغير لو ظلت الإنسانية جالسة على عجيزتها.

كراجلر : لا أستطيع أن أقرأ شيئا على وجهه، كأنه جدار الكنيف: مملوء بالكتابات الفاحشة! والجدار لا يملك لهذا دفعا. يا أنّا، هل تحبين هذا الشخص؟، هل تحبينه؟

(أنّا تقهقه ضحكا وتشرب)

بابوش : هذا هو صد للهجوم بواسطة قلبك، يا كراجلر.

كراجلر : لا، بل هذا انتزاع لزوائده بضربة من الأسنان، لأنه يثير في نفسي أشد التقزز. أتحبينه؟ هذا الوجه الأخضر مثل البندقة غير الناضجة؟ أمن أجل هذا الشخص تريدين طردي؟ إنه يلبس بذلة من الصوف الإنجليزي المحشوة عند الكتفين والصدر، وفي حذائه دم. وأنا ليس عندي غير بذلتي العتيقة، التي أكلتها العثة. قولي إنك لا تستطيعين أن تتزوجيني بسبب بذلتي، قولي هذا إذن. أنا أفضّل هذا!

بابوش : اجلس إذن، باسم الله! الآن بدأت الرواية.

ماريا : (تصفق) هو هكذا تماما! وقد رقص معي وهأناذي أشعر بالخزي منه، ومن كونه قد حك فخذيه ببطني!

مورك : أنتِ، لا دخل لكِ! ولا تحاولي أن تخدعي عالمك! (مخاطبا كراجلر) ألا توجد معك سكّينة في حذائك لتقطع بها رقبتي، لأن الشمس في أفريقيا قد ضربتك على رأسك، وأحدثت أوراما في مخك؟ هيّا، أخرج سكينتك، لقد ضقت ذرعا، هيا اقطعها!

السيدة باليكه : أنّا، كيف تستطيعين سماع أشياء مثل هذه!

باليكه : يا جارسون! هات أربع كؤوس من الكيرش! الآن يستوي عندي كل شيء!

مورك	:	حذار ألا تخرج السكّين! اضبط نفسك، ولا تحاول أن تمثل دور البطل. فهذا يؤدي بك هاهنا إلى السجن.
ماريا	:	هل كنت في الجبهة؟
مورك	:	(خارجا عن طوره، يرمي بكأس في اتجاهها مخاطبا كراجلر) لماذا لم تكن موجودا؟
كراجلر	:	الآن وصلت.
مورك	:	ومن الذي دعاك إلى المجيء؟
كراجلر	:	الآن أنا هنا موجود.
مورك	:	وغد!
أنّا	:	أنت، الأولى بك أن تسكت.
		(كراجلر يدخل رأسه بين كتفيه)
مورك	:	قاطع طريق!
كراجلر	:	(بصوت خفيض) لص!
مورك	:	شبح!
كراجلر	:	حذار!
مورك	:	وأنت، حذار من سكّينك. هذا يدغدغك، أليس كذلك؟ شبح! شبح! شبح!
ماريا	:	الوغد هو أنت! هو أنت!
كراجلر	:	أنّا! أنّا! ماذا أصنع؟ أمر وأنا أترنح على بحر من الجثث فلا يبتلعني. وأرحل إلى الجنوب في عربات المواشي السوداء، فلا يحدث لي شيء يحترق في جحيم النيران هذه، ونار أشد حرارة تشتعل في نفسي. رجل يصير مجنونا تحت لسعة الشمس، وليس هو أنا. اثنان آخران يسقطان في جحر ماء، وأنا أستمر في النوم أطلق النار على الزنوج. آكل من العشب. أنا شبح. (في هذه اللحظة.. يندفع

الجارســـون إلى النافذة، ويزيح الستائر. وتتوقف الموسيقى فجأة. وتُســـمع صيحات ونداءات: «إنهم قادمون». صمت. الجارسون يطفئ الشـــموع. وبعد ذلك، في الخارج، يسمع صوت نشيد «الدولية»)

رجل : (يدخل من الباب الذي على يسار) أيها السادة، نطلب إليكم أن تحتفظـــوا برباطة الجأش. والرجـــا منكم عدم الخروج من المحل. اندلعـــت اضطرابات معركة في حي الصحافة، الموقف غامض.

باليكه : (يجلس بثقل): الأسبارتاكيون! أصحابك، يا سيد أندرياس كراجلر! أصحابك المشبوهون! رفاقك الذين يصيحون في حي الصحافة، وينشـــرون رائحة الحريـــق والجريمة! أنتم دواب مفترســـة! (صمت) دواب! دواب! لمـــاذا أنتم دواب؟ لأنكم تأكلون اللحم الطازج! لابد من إبادتكم!

الجارسون : بواسطتكم أنتم يا من سمنتم!

مورك : أين سكينك؟ اسحبها إذن.

ماريا والجارسون : (يذهبان نحوه) أنت اسكت؟

الجارسون : هذا ليس كأنّا إنسانا، بل دابة، هذا هو..

مورك : أسدلوا الستائر! أشباح!

الجارسون : لعلنا نحن الذين ينبغي إلصاقهم بالجدار؟ هذا الجدار الذي بنيناه بأيدينا، والذي في حماه تملأون كروشكم بالكيرش!

كراجلر : هـــذه هي يدي وهذه عروقي. افتحوها إذا مت. فســـترون أنها ستدمى.

مورك : شبح! شبح! من أنت بالضبط! أعليَّ أن أتنازل لك عن مكاني لأن لك بشـــرة أفريقي؟ ولأنك تنبح في حي الصحافة؟ وما شـــأني أنا إذا كنت أنت قد كنت في أفريقيا؟ ما شأني، إذا كنت أنا لم أكن هناك؟

الجارسون	:	لا بد أن يسترد زوجته! هذا ليس من الإنسانية في شيء!
السيدة باليكه	:	(أمام أنّا وقد خرجت عــن طورها) لكنهم جميعا مصابون بأمــراض! مصابــون بداء مــا! الزهري! الزهــري! كلهم مصابون بداء الزهري.
بابوش	:	(يضرب بعصاه على المائدة) لم يكن ناقصا غير هذا!
السيدة باليكه	:	أتريــد أن تــدع بنتي في ســلام؟! أتريد أن تــدع بنتي في سلام؟!
مورك	:	يا ضبع! يا سافل!
أنّا	:	يا أندريه، لا أريد! أنت تقتلني.
ماريا	:	السافل هو أنت!
الجارسون	:	هذا ليس من الإنسانية في شيء! لا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق.
السيدة باليكه	:	اخرس! يا خادم! يا صعلوك! أنا طلبت كيرشــا، سامع! أنا أطردك!
الجارسون	:	هــذه مســألة إنســانية. وهــي تهمنــا جميعــا. لا بد أن زوجته...
كراجلر	:	هيّا، كفاني الآن! ما الشيء الإنساني؟ وماذا تريد هذه المرأة المخمورة؟ لقد بقيت وحدي، وأنا أريد زوجتي. هذا الملاك المتباكــي، ماذا يريد؟ أتريدين أن تبيعي بالمزاد العلني بطن ابنتــك كما يباع رطل من الــبن؟ لو حاولتم أن تنتزعوا منّي أنّا بكلاليب من الحديد، فلن تفلحوا إلا في تمزيق قلبها.
الجارسون	:	أنتم تمزقونها.
ماريا	:	نعم، مثل رطل من البن.
باليكه	:	وليس معك ولا مليم من النقود؟

بابوش : أنتم تضربون أسنانه بقبضات أيديكم، وهو يلفظها لكم في وجوهكم.

مورك : (مخاطبا أنّا) لماذا سحنتك تشبه اللبن المستفرغ؟ وتدعين عينيك يلتهمهما هذا الشخص؟ وجهك يبدو وكأنك تبولت في الشوك!

باليكه : أهكذا تتكلم عن خطيبتك؟!

مورك : خطيبتي! هل هي خطيبتي؟ هل هي خطيبتي حقا؟ ألم تتخل عنّي فعلا؟ ها هو ذا قد عاد. هل تحبينه؟ هل يهمك هذا؟ هل ترغبين في الإحساس بأفخاذ أفريقية؟ أليس الأمر هكذا؟

بابوش : لو كنت جالسا، ما نطقت بهذا الكلام.

أنّا : (وقد انجذبت إلى كراجلر أكثر فأكثر، تنظر إلى مورك باشمئزاز. بصوت خفيض تقول) لكنك مخمور!

مورك : (يجذبها بشدة إليه) أريني وجهك! أريني أسنانك! مومس!

كراجلر : (يمسك بمورك، ويرفعه عن الأرض. أزيز الكؤوس على المائدة. ماريا لا تكف عن التصفيق بيديها) لست مستقرا على قدميك، هيا اخرج، امش من هنا! لقد أفرطت في الشرب. أنت لا تمسك نفسك.

(يدفعه)

ماريا : ناوله، ناوله!

كراجلر : دعيك منه! يا أنّا، تعالَي بقربي! الآن أريدك لي. لقد أراد أن يشتري حذائي، ولكني سأخلع الجاكتة. الطّلّ الثلجي قد نفذ في جلدي حتى صار جلدي أحمر، وتحت الشمس الزاهية ينفجر. وخُرّجي فارغ، وليس معي مليم. أنا أريدك، وأنا لست جميلا. وكان عليّ حتى الآن أن أتمالك نفسي، ولكني سأشرب الآن. الآن. (يشرب) وبعد هذا نرحل. تعالَي!

مورك : (وقد انهار تماما، وكتفاه التوتا، يقول لكراجلر بصوت شبه هادئ) لا تشـــرب! أنت لا تعرف كل شـــيء! انس هذا كله. كنت مخمورا، صحيح هذا. لكنك لا تعرف كل شيء، يا أنّا، (وهو في صحو تام) أخبريه! ماذا تريدين أن تفعلي؟ وأنت في هذه الحال؟

كراجلر : (لا يستمع إليه) لا تخافي يا أنّا! (وفي يده كأس من الكيرش) لن يصيبك شيء، لا تخافي! سنتزوج. وسأستطيع التخلص من المأزق.

الجارسون : برافو!

السيدة باليكه : أوباش!

كراجلر : من لديه ضميـــر مفرط ينتهي بأن يصبح ديكا روميا. ومن يصبر صبـــرا مفرطا يدع الآخرين يأكلـــون الصوف الذي على ظهره. هذا قانون الغابة.

أنّا : (تندفع فجأة وتســـقط على المائدة) يا أندريه، ســـاعدني! النجدة يا أندريه.

كراجلر : (ينظر إليها مندهشا) ماذا جرى؟

أنّا : أندريه، لا أدري، أنا بائســـة جدا يا أندريه! لا أســـتطيع أن أقول لك شيئا. لا تلق عليّ أسئلة. (ترفع عينيها) لا أستطيع أن أكون لك. الله يعلم ذلك. (تفلت الكأس من يد كراجلر). وأتضرع إليك أيضا أن تذهب يا أندريه!

(صمـــت. في الغرفة المجاورة يُســـمع صـــوت الرجل الذي عرفنـــاه منذ قليل، وهو يقول: «ماذا يجري؟» الجارســـون، ملتفتا ناحية الباب الذي عن يسار، وهو يتكلم إلى الخارج، يجيب عليه)

الجارسون : العاشق القادم من أفريقيا، والذي جلده مثل جلد التمساح، انتظر أربع ســـنوات، والخطيبة لاتـــزال الزنبقة في يدها.

لكن العاشـــق الآخر، وهو رجل يلبس حذاء بأزرار، لا يريد أن يتخلى عنها، والخطيبة، وهي تمسك دائما بالزنبقة في يدها، لا تدري إلى أي ناحية تميل.

صوت : هذا كل ما في الأمر؟

الجارسون : والثورة المشـــبوبة في حي الصحافة تمارس دورها، وهناك ســـر تكتمه الخطيبة، سر لم يطلع عليه العاشق القادم من أفريقيـــا، الذي انتظر أربع ســـنوات. المســـألة لاتزال غير معلومة تماما.

الصوت : ألم يُتخذ قرار؟

الجارسون : لا ندري أبدا إلى أي شيء ستنتهي هذه الحكاية.

باليكه : يا جارسون! هؤلاء الأوباش؟ ألا نستطيع التخلص من هذا البقّ، واحتساء شرابنا بهدوء؟

(مخاطبا كراجلر) هل ســـمعت الآن؟ ســـعيد؟ اخرس إذن! كانت الشـــمس محرقة جدا؟ كانت أفريقيا هي الســـبب. هذا مكتوب في كتاب الجغرافيا. وكنت بطلا؟ سيكتب ذلك في ســـجل التاريخ. لكن في السجل الكبير لا شيء. ولهذا فإن البطل ســـيعود إلى أفريقيا. هـــذا كل ما في الأمر. يا جارسون! أخْرِج هذا الشخص!

(الجارســـون يمســـك بكراجلر ويجره. كراجلـــر يأخذ في السير بتثاقل وبطء. وعن يساره ماريا المومس، تتبعه)

باليكه : أي مهزلة قرود هذه! (يأخذ في الصياح وراء كراجلر لكسر الصمت) لقد أردت شـــراء لحم؟ ليس هاهنا سوق الدواب! احـــزم قمـــرك الأحمـــر واذهـــب لتعزف لحنـــا صغيرا لشـــمبانزياتك. إنـــي أهـــزأ بنخيلك، أنا! ثم إنك لســـت غـــير شـــخصية في روايـــة. أبـــرز إذن شـــهادة مـــيلادك؟ (كـــراجلر خرج)

السيدة باليكه : كُفَّ عن الصياح! لكن ماذا بك هكذا، أتريد أن تشرب تحت المائدة مع الكيرش(*)؟

باليكه : لكن أي سيماء عليه! كأنه ورق ممضوغ!

السيدة باليكه : لا، لكن انظر إلى هذه البنت المسكينة! ماذا جرى لك إذن؟ آه، كفى الآن!

(أنّا جالســة إلى المائدة صامتة، شبه غائصة بين الستائر. وأمامها كأس)

مورك : (يذهب ناحيتها، ويتشــمم الكأس) فلفل، وأيم الله! (تنتزع منه الكأس بازدراء) آه، حســن، أنا فاهم. ماذا تريدين إذن أن تفعلــي بهذا الفلفــل؟ ألا تريدين أيضــا حمام مجلس ســاخن؟ أنت يجب تعليمك كيف تسيرين سيرا مستقيما. أنت تثيرين الاشمئزاز في نفسي.

(يبصق، ويرمي بالكأس على الأرض. أنّا تبتســم. يُســمع إطلاق مدافع المترليوز)

بابوش : (عنــد النافذة) لقد بدأ؛ الجماهير ثارت؛ الاســبارتاكيون ثاروا. الجريمة تستمر. (الكل مُسَمَّرون، وآذانهم مرهفة)

* * *

(*) أي هل ستشرب حتى تتمرغ تحت المائدة.

الفصل الثالث

(ركب الفالكيري)

شارع في حي الصحافة

(سور من القرميد الأحمر لثكنة، يعترض المسرح وينزل من اليسار ناحية العمق إلى اليمين. من ورائه تشاهد المدينة في الضوء المتحلل للنجوم. الوقت وقت الليل. ريح)

ماريّا	:	إلى أين تعدو إذن؟
كراجلر	:	(بدون طاقيــة، والياقــة واقفة، ويداه فــي جيبيه، يدخل المسرح وهو يصفر) ما هذا الشيء الأحمر؟
ماريّا	:	لا تجر هكذا.
كراجلر	:	ألا تستطيعين متابعتي؟
ماريا	:	هل أنت خائف من أن يطاردوك؟
كراجلر	:	أنت تريدين كسب نقود؟ أين غرفتك؟
ماريا	:	كلامك هذا ليس لائقا.
كراجلر	:	نعم.
		(يريد أن يواصل مسيرته)
ماريا	:	أنا مصابة في رئتي.
كراجلر	:	لست ملزمة بمتابعتي!
ماريا	:	ولكن هذه...
كراجلر	:	أف! سيمحى هذا! سيغسل! سيشطب!
ماريا	:	وماذا أنت صانع الآن حتى باكر صباحا؟
كراجلر	:	توجد سكاكين.
ماريا	:	يا يسوع! يا مريم!

كراجلر	:	هدئي من روعك: لا أحب أن أسمعك تصيحين هكذا، يوجد أيضا كحول. مـــاذا تفضلين؟ يمكنني محاولة الضحك، إذا كان هذا يســـرك. قولي لي هل أُلقي بك في عرض الشارع قبل تناولك الأول؟ أتدخنين؟ (يضحك) هيا بنا بعيدا!
ماريا	:	الرصاص يطلق في حي الصحافة.
كراجلر	:	ربما كانوا في حاجة إلينا في الناحية.
		(يخرجان. ريح. يدخل رجلان يسيران في الاتجاه نفسه)
الرجل الأول	:	أعتقد أن الأحسن أن نفعله هاهنا.
الثاني	:	من يدري هل هناك يمكن أيضا...
		(يبولان على الجدار)
الأول	:	المدفع.
الثاني	:	يا الله! في شارع فريدرش.
الأول	:	هناك حيث كنت تبيع خمورا مغشوشة.
الثاني	:	هذا القمر يكفي كي يجعلك مجنونا!
الأول	:	خصوصا حين يبيع المرء في السوق السوداء دخانا متعفنا!
الثاني	:	نعم، لقد تاجرتُ في دخان متعفن، لكنك كدّست أناسا في جحور فئران.
الأول	:	فيم يفيدك هذا الكلام؟
الثاني	:	لن أشنق وحدي!
الأول	:	أتعــرف ماذا صنــع البلشــفيك؟ أرني يديــك! ليس فيها انتفاخات!
		بــف، بــاف، (الآخــر ينظر فــي يديــه) بف، بــاف! إنهم يستشعرونه!
الثاني	:	يا إلهي!

الأول	:	سـيكون جميـلا أن تعـود إلى بيتـك وعلى رأسـك قبعة أسطوانية!
الثاني	:	وأنت أيضا تلبس القبعة نفسها.
الأول	:	نعم، ولكنها منبعجة ياعزيزي.
الثاني	:	أستطيع أنا أيضا أن أبعج قبعتي.
الأول	:	ياقتك الصلبة أسوأ من حبل مغسول بالصابون.
الثاني	:	إنهـا تصيـر طرية من كثـرة عرقي، ولكنـك تلبس حذاء بأزرار!
الأول	:	وكرشك!
الثاني	:	وصوتك!
الأول	:	ونظرتك، ومشيتك، وطريقتك في عرض نفسك!
الثاني	:	نعم، كل هذا سيسبب شنقي في أول عمود نور، ولكنك أنت عليك سيما المثقف!
الأول	:	عفـوا، أذني على شـكل القنبيط، وشـحمة أذني خرقتها رصاصة، يا سيدي العزيز.
الثاني	:	يا لله!

(كلاهمـا يذهب. ريح. ركب الفالكيـري[*] يدخل من ناحية اليسـار: وأنّا يبدو أنها تهرب. وبالقرب منها مانكه Manke الجارسـون في بـار بيكادلي، وهو ملتف بمعطف المسـاء، وسلوكه سلوك مخمور. وخلفهما يأتي بابوش وهو يجر مورك السكران كل السكر، ووجهه شاحب، وملامحه منتفخة).

(*) Walkyrie: كلمة شمالية الأصل، من الكلمتين: فال Wal = ساحة المعركة + كيريا Kyria = التي تختار. وتطلق على ثلاث إلاهات (أو فتيات إلاهات) يفصلن في أمر المحاربين ويحددن من ينبغي أن يموتوا في ساحة القتال، ويسقنهم إلى القلهلا، وهي قاعة الإله أودين التي ترسل إليها أرواح الأبطال الذين قتلوا في ساحة الحرب.

مانكه : لا تترددي! لا تفكري! لقد رحل! حملته الريح! ربما ابتلعه حي الصحافة. الرصاص يطلق في كل مكان، وفي ناحية حي الصحافة يحدث كل شيء، خصوصا في هذه الليلة، وليس من المستحيل أن يردَى قتيلا بالرصاص. (يحاول إقناع أنّا، على طريقة السكارى) حين يطلق الرصاص، يمكن المرء النجاة، ويمكنه أيضا ألا ينجو. على كل حال، بعد ساعة، لن يجده أحد. سيذوب مثل الورق في الماء. لقد أصابه القمر. ويتبع أي ناعق. هيًّا! أنقذيه، وهو الذي كان، لا، وهو الذي لايزال عاشقك وحبيبك.

بابوش : (يتوقف أمام أنّا) قفي، كل ركب الفالكيري! إلى أين أنت ذاهبة؟ الجو بارد، والريح تعصف، وهو قد استقر في حانة من الحانات. (مقلدا الجارسون) هذا الذي انتظر أربع سنوات، لا أحد الآن يستطيع أن يعثر عليه بعد!

مورك : لا أحد، لا أحد أبدا.

(يجلس على حجر)

بابوش : انظر إلى هذا!

مانكه : وماذا يهمني منه! قدم إليه معطفا! لكن لا تضيع الوقت. وهذا الذي انتظر أربع سنوات، ها هو ذا الآن يعدو أسرع من هذه السحب! لقد اختفى أسرع من هذه الريح.

مورك : (بعدم اكتراث) كان في «البونش»(*) لون. ثم إن كل شيء كان جاهزا! جهاز العرس كامل، والشقة تم استئجارها. تعال بالقرب مني، يا باب(**)!

(*) شراب مؤلف عادة من الكحول وعصير الليمون والتوابل والشاي والماء.
(**) ترخيم لاسم بابوش.

مانكه	:	(مخاطبــا أنّا) لمــاذا تبقين واقفة هكذا مثــل زوجة لوط؟ هنا ليســت عُمُورة(*)! هل يعجبك هذا الشــخص المخمور البائس؟! فات الأوان لعمل شــيء آخر. أهو بســبب جهاز العرس؟ أهذا سيمنع السحب من الجري؟
بابوش	:	لكن، قل، هل هذا من شــأنك؟ هل السحب من شأنك؟ ما أنت إلا مجرد جارسون في مقهى، أليس كذلك؟
مانكه	:	كيف يهمني هذا؟ في كل مرة يشهد امرؤ عملا خسيسا من دون أن يتحرك، فإن النجوم تخرج عن مســالكها. (يمسك برقبتــه بين يديه) وأنا أيضا أطاحت بي هذه الدوامة. إنها تمسك بمخنقي! يجب ألا يكون المرء خسيسا، حين يشاهد إنسانا يغرق.
بابوش	:	ماذا تقول؟ يغــرق؟ من الذي يتحدث عن الغريق؟ أنا أقول لك: سيُســمع صراخ وخوار ثيران، في حي الصحافة، من الآن حتى الصباح. وسيصبح الأمر في أيدي الغوغاء الذين يعتقدون أن الوقت قد حان لتسوية حسابات قديمة!
مورك	:	وقــد نهض، ينــوح. مخاطبا أنّا) لمــاذا تجرينني هكذا في الريــح؟ أرغب في القيء، لماذا ترحلين؟ ماذا جرى؟ أنا في حاجة إليك. ليس هذا من أجل جهار العرس.
أنّا	:	لا أستطيع.
مورك	:	لا أستطيع أن أمسك نفسي على ساقيّ.
مانكه	:	إذن اجلس! لســت الوحيد في هذا. هذا يُعْدِى. ســيصاب الأب بنوبــة قلبية، والأم، هذه الكانجورو المخمورة، لا تكفُّ عن البكاء. لكن البنت تنزل إلى الأحياء الوضيعة، بحثا عن حبيبها الذي انتظر أربع سنوات.

(*) قرية النبي لوط.

أنّا : لا أستطيع.

مورك : جهاز عرسك على التمام. والأثاث موجود في الشقة.

مانكه : والبياضات مطوية، ولكن العروس لا تحضر.

أنّا : جهاز عرسي اشتُري، وقد رتبته في الصوان، قطعة بعد قطعة، ولكني لا أحتاج إليه الآن. والشقة استؤجرت، والستائر وضعت. ولا تنقص حتى سجادة واحدة. لكن وصل هذا الذي لا يملك غير بذلة مزقتها العثة ولا يلبس حذاء.

مانكه : وحيّ الصحافة ابتلعه! والحانة تترصده! الليل! البؤس! الغوغاء! أنقذيه!

بابوش : وكل هذا يؤلف مسرحية: ملاك المراقص الشعبية.

مانكه : نعم، الملاك.

مورك : وتريدين أن تذهبي إلى مدينة فريدرش؟ لا شيء يمنعك؟

أنّا : لا، أرى مانعا.

مورك : لا شيء؟ ألا تريدين أن تفكري قليلا في «الشيء الآخر»؟

أنّا : الحبل هو الذي شدّني.

مورك : وهو لا يحجزك؟

أنّا : لقد انقطع الآن.

مورك : ولا تكترثين لولدك؟

أنّا : لا أكترث له.

مورك : لأنه وصل من ليس له بذلة؟

أنّا : لم أكن أعرفه قبل ذلك.

مورك : لكنه لم يعد هو هو! لم يكن ممكنا أن تكوني قد عرفته!

أنّا : لقد كان ماثلا هناك كالحيوان في وسط دائرتك. ثم ضربتموه كما يضرب الحيوان!

مورك : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز!

أنّا : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز!

مورك : ثم مضى وتركك هناك.

أنا : ومضى وتركني هناك.

مورك : لقد انقضى أمره!

أنّا : لقد انقضى أمره!

مورك : لقد رحل...

أنّا : لكن في اللحظة نفسها التي رحل فيها، وانقضى أمره...

مورك : لم يحدث شيء، لم يحدث أي شيء.

أنّا : حدثت وراءه دوامة وحركة نسيم خفيف، لكنه قوي جدا، أقوى من كل شيء. وحينئذ ذهبت أنا، والآن وصلت، وانقضى أمر كلينا معا هو وأنا. أين ذهب؟ الله وحده يعلم أين هو! العالم واسع، فأين عساه هو؟ (تتطلع في مانكه بهدوء وتقول له بلهجة خفيفة) ارجع إلى حانتك، أشكرك، وأعده إلى هناك! أما أنت يا بابوش، فتعال معي!

(تخرج وهي مهرولة من ناحية اليمين)

مورك : (باكيا) أين ذهبت؟

بابوش : الآن، يا عزيزي، ركب الفالكيري، موجود في البحيرة.

مانكه : اختفى الحبيب، لكن المحبوبة تطير إليه على أجنحة الحب. عرف البطل السقوط، لكن صعوده يتهيأ الآن.

بابوش : لكن الحبيب سيلقي بالحبيبة في النهر وسيفضل السماء على النزول إلى العالم السفلي. آه! يا لك من رومانتيكي!

مانكه : لقد اختفت، وهرولت إلى حيّ الصحافة. ولاتزال تُرى هناك، شبيهة بالشراع الأبيض، والفكرة الطاهرة، والمقطوعة الأخيرة من قصيدة، والبجعة الأنيقة وهي تنساب على الأمواج...

بابوش : وماذا سيحدث لهذا المرج المبتل بالكحول؟

مورك : سأبقى هاهنا. الجو بارد. فإن زادت البرودة، عادوا. أنت لا تفهم في هذا شيئًا، لأنك تجهل الباقي. دعهم يجروا. إنه لن يأخذ اثنتين! لقد ترك واحدة، وإن اثنتين لتجريان وراءه.

(يضحك)

بابوش : ها هي ذي، والله، تطير كالمقطوعة الأخيرة من قصيدة!

(يمضي في الاتجاه نفسه)

مانكه : (يصيح فيه) مقهى جلوب Glubb، في شارع الشوسيه! المومس التي كانت معه محلها المختار هو في مقهى جلوب! (يمد ذراعيه، بصوت فخم) الثورة تبتلعهم، فهل سيلتقون؟

* * *

الفصل الرابع

(ينبلج فجر)

حانة صغيرة

(جلوب، صاحب الحانة، يلبس ملابس بيضاء، ويغني شكوى الجندي القتيل، بمصاحبة الماندولين. لار laar ورجل أسمر سكران لا يتوقفان عن النظر إلى أصابعه. رجل قصير ربعة، اسمه بولتروتر Bulltrotter يقرأ الجريدة. مانكه الجارسون يشرب مع أوجستا، وهي مومس. الجميع يدخنون)

بولتروتر	:	أريــد ماء حيــاة، ولا أريد جنديــا قتيلا، وأريــد أن أقرأ الجريدة، ومن أجل هذا لا بد لي من شرب ماء الحياة، وإلا فلن أفهم ما أقرأ، بحق الله!
جلوب	:	(بصوت بارد لا معنى له) ألست راضيا هنا ؟
بولتروتر	:	نعم، لكن الآن توجد الثورة.
جلوب	:	ما الفائدة؟ عندنا حثالة المجتمع سعداء، ولازارس يغني.
الرجل المخمور	:	الحثالة هي أنا، وأنت لازارس.
عامل	:	(يدخل ويذهب إلى الكونتوار) نهارك سعيد، يا كارل.
جلوب	:	مستعجل؟
العامل	:	الساعة الحادية عشرة، في ميدان السجن.
جلوب	:	تروى أشياء كثيرة.
العامل	:	فرقة الحرس تحتل منذ الســاعة السادســة المحطة. وفي «إلى الأمام» كل شيء يسير سيرا حسنا. في يوم كهذا اليوم نفتقر إلى باول. (صمت)
مانكه	:	هنا، عادة، لا يتحدثون عن باول.
العامل	:	اليوم ليس يوما عاديا. (يخرج)

مانكه : (يخاطب جلوب) وفي نوفمبر كانت الحال عادية؟ ما يفتقرون إليه هو قطعة من الخشب في اليد، وشعور يلصقها في الأصابع.

جلوب : (ببرود) هل تريد شيئا يا سيدي؟

بولتروتر : الحيوية!

(يخلع سترته ويحل ياقته)

جلوب : بناء على تعليمات الشرطة ممنوع الشرب بدون السترة.

بولتروتر : رجعيّ!

مانكه : حاول إذن أن تغني نشيد الدولية، بأربعة أصوات، مع التريمولو! الحُرّية! وفي هذه اللحظة سيّد بأكمام نظيفة يكلّف بتنظيف الكنيف، أليس كذلك؟

جلوب : أنت تفسد الرخام: إنه من خشب.

أوجستا : وذوو الأكمام البيضاء ليس عليهم إذن أن ينظفوا الكنيف؟

بولتروتر : أنت، ياصغيرتي، سيلصقونك على الحائط.

أوجستا : في هذه الحالة يرجى من ذوي الأكمام البيضاء أن يضعوا غطاء على مخارجهم

مانكه : يا أوجستا، أنت مبتذلة.

أوجستا : عليكم أن تشعروا بالخزي والعار، يا عصابة من خنازير. ما يلزم هو انتزاع أحشائكم، ومكانكم، يا من تلبسون أساور قميص، هو على عمود النور. يا آنسة، رخّصي الأجرة، فقد خسرنا الحرب! ما عليك إلا أن تمتنع عن الجنس إذا لم يكن معك نقود، وأن تمتنع عن خوض الحرب إذا لم تكن قادرا عليها. وأنت، ارفع رجليك من فوق المنضدة، حين يكون ثم سيدات! هل أنا ملزمة باستنشاق رائحة أقدامكم الكريهة، يا قليلي الأدب!

جلوب : لكن أكمامه ليست بيضاء أبدا.

الرجل المخمور : ما الذي نسمعه يتدحرج على الأسفلت؟

مانكه : مدافع!

الرجل المخمور : (ينظر إلى الآخرين بتهانف، وهو شاحب) ما هذا الذي يسمع هكذا وهو يتدحرج على الأسفلت؟

(جلوب يسرع إلى النافذة ويفتحها دفعة واحدة. تسمع أصوات المدافع وهي تدرج في الشارع. الجميع يذهبون إلى النافذة)

بولتروتر : هؤلاء هم الخنافس، فرقة الحرس!

أوجستا : بحق العذراء المقدسة، إلى أين هم ذاهبون؟

جلوب : إلى حي الصحافة، من غير شك. إنهم قراء!

(يغلق النافذة)

أوجستا : بحق العذراء المقدسة، من هناك عند الباب؟

(كراجلر عند المدخل، يترنح كأنه سكران، ويضع قدما على قدم)

مانكه : ها أنت بسبيل أن تبيض بيضة؟

أوجستا : من أنت؟

كراجلر : (بتهانف شرير) لا أحد.

أوجستا : لكن العرق يتصبب على رقبتك! هل أنهكك الجري إلى هذا الحد؟

الرجل المخمور : هل أنت مصاب بإسهال؟

كراجلر : لا، ليس عندي إسهال.

مانكه : (وقد ذهب إليه) إذن، أيَّ جريمة ارتكبت، يا رجل، أنا أعرف هذا النوع من السحنات.

ماريا : (تظهـر خلفه) لم يرتكب جريمة. بل أنا التي دعوته، يا أوجستا. إنه لا يدري إلى أين يذهب. إنه عائد من أفريقيا! (مخاطبـة كراجلر) اجلس (كراجلـر يظل واقفا عند عتبة الباب)

مانكه : أسير؟

ماريا : نعم، ومفقود.

أوجستا : ومفقود أيضا؟

ماريا : وأسير. وفي تلك الأثناء اختطفوا منه خطيبته.

أوجستا : إذن تعـال هاهنـا بالقرب مـن ماما. اجلس، يـا مدفعي. (مخاطبة جلوب) خمس كاسـات مزدوجـة مـن الكـيرش، يا كارل!

(جلـوب يملأ خمس كؤوس، ومانكه يصفها على الكرسـي المستدير)

جلوب : وقد خطفوا مني في الأسبوع الماضي دراجة.

(كراجلر يتوجه ناحية الكرسي المستدير)

أوجستا : حدثنا عن أفريقيا.

(كراجلر لا يجيب، ولكنه يشرب)

بولتروتر : تسـتطيعين الذهاب إليها. افرغي حقيبتك: صاحب المحل احمر.

جلوب : أنا ماذا؟

بولتروتر : أحمر.

مانكه : شيئا من الأدب، يا سيد، لا شيء هنا أحمر، يا سيد.

بولتروتر : حسن. أنا لم أقل شيئا.

أوجستا : وماذا فعلت هناك؟

كراجلر : (مخاطبا ماريا) أطلقت الرصاص على بطون الزنوج، وغطيت الطرق بالأحجار.

(هي تسعل) إذن دائما رئتاك؟

أوجستا : وكم بقيت هناك؟

كراجلر : (يخاطب دائما ماريّا) سبعة وعشرين.

ماريا : شهرا.

أوجستا : وقبل ذلك؟

كراجلر : قبل ذلك؟ كنت في جحر مملوء بالطين.

بولتروتر : وماذا كنت تعمل فيه؟

كراجلر : لأتعفن فيه؟

جلوب : أجل، كان في مقدورك ألا تعمل شيئا كما تشاء.

بولتروتر : وفي أفريقيا، كيف الفتيات؟

(كراجلر يسكت)

أوجستا : لا تكن مبتذلا هكذا.

بولتروتر : وحينما رجعت، لم تكن هي في البيت، أليس كذلك؟ لقد كنت تظن أنها في الصباح ستأتي إلى الثكنة في انتظارك، وسط الكلاب؟

كراجلر : (مخاطبا ماريّا) هل ألكمه لكمة على شدقه؟

جلوب : لا، ليس بعد. لكنك يمكنك أن تجعل الأوركسترا الميكانيكي يعزف. هذا، نعم.

كراجلر : (ينهض مترنحا، ويحيي التحية العسكرية) تحت أمرك.

(يشغل الأوركسترا الميكانيكي)

بولتروتر : عاطفيات!

أوجستا : ليس عنده شعور أكثر مما عند الجيفة، إنه في عداد الموتى.

جلوب : أجــل، أجل، أجــل. لقد أهين بعض الإهانة. لكن العشــب سينمو على هذه الحكاية.

بولتروتر : إذن، قل له، ألســت أحمر؟ يا جلوب، ألم يجر الحديث عن ابن أخ؟

جلوب : نعم، جرى الحديث عن هذا. ولكن ليس في هذا المقهى

بولتروتر : لا، ليس في هذا المقهى. عند سيمنس.

جلوب : ليس من وقت بعيد.

بولتروتر : عند ســيمنس، ليــس من وقت بعيــد. كان عاملا على آلة تشــكيل، ولكن ليس لمدة طويلة. كان عاملا على آلة تشكيل حتى شهر نوفمبر، أليس كذلك؟

الرجل المخمور : (الذي لم يفعل حتــى الآن غير أنه كان يضحك، يأخذ في الغناء)

مات إخواني ولم يفلت أَحَدٌ

وأنا كدتُ ألاقي مصرعي.

كنتُ في تشرين أحمر،

غير أنّا في يناير.

جلوب : يا ســيد مانكه، هذا السيد لا يريد أن يضايق أحدا. اعمل الواجب.

كراجلر : (وقد أمسك بأوجستا من خصرها وأخذ يقفز معها)

دخل الكلب إلى المطبخ

واستلّ من الطبّاخ بيضة

فأتى الطبّاخ بالسّاطور

وانقض على الكلب فقدّه.

الرجل المخمور : (وقــد تمزق من الضحك) عامل على آلة تشــكيل لمدة غير طويلة.

جلوب : أرجوك ألا تفسد عليّ الكؤوس، يا مدفعي!

ماريا : الآن هو سكران. آلامه أقل.

كراجلر : آلامه أقل؟ عَز نفسك دائما، يا أخي العربيد، قائلا لنفسك: كل هذا غير موجود.

أوجستا : اشرب أنت.

الرجل المخمور : ألم يجر الحديث عن ابن أخ؟

كراجلر : ما الخنزير في نظر الله الآب، يا أختي المومس؟ لا شيء.

الرجل المخمور : لكن ليس في هذا المحل.

كراجلر : ولم لا؟ هـل يمكن إلغاء العسـكريين أو الله الرحمن؟ هل تملك أن تلغي التعذيب أيها المالك الأحمر، وألوان التعذيب التي علّمها البشر أنفسهم للشيطان؟ لست قادرا على هذا. لكن أن تقدم ماء حياة، فهذا في وسعك. إذن اشرب وأغلق البـاب، لا تدع الريح تدخل، الريح التي تشـعر بالبرد هي الأخرى، لكن أسدل الستائر الخشبية.

بولتروتر : صاحب المحل يقول إنه وقعت إهانة، وظلم، ولكنه يقول إن العشب سينبت من فوقها.

كراجلر : سينبت؟ قلت: ظلم، يا أخي صاحب المحل، ياصاحب المحل يـا أحمر؟ ما أضحك كلمة: ظلم. إنهم يخترعون كثيرا من الكلمـات الصغيرة هكذا. ويلقون بها في الهواء، وبعد ذلك يسـتطيعون أن يذهبـوا للنوم وأن ينتظـروا أن يمر هذا. والأكبر يضرب وجه الأصغر، والسمين يصنع زبدته. هنالك ينبت العشب جيدا.

الرجل المخمور : على ابن الأخ، الذي ليس موضوعا للحديث.

كراجلر : فأتى باقي الكلاب،
حفروا للمَيِّت قبرا،

وعلى الشاهد خطوا
دخل الكلب إلى المطبخ...
ولهــذا ينبغي علينــا أن نتفاهم فيما بيننــا على خير وجه ونحن في هذا الكوكب الصغير، الجو بارد هنا ومظلم شيئا، أيها المالك الأحمر، والعالم أشــد شيخوخة من أن يكون له مستقبل أفضل، والسماء قد استؤجرت، يا أعزائي.

ماريّا : ماذا سنفعل؟ هو يقول إنه يريد أن يذهب إلى حي الصحافة. لكن ماذا يجري هناك؟

كراجلر : عربة تذهب إلى بار البيكادلي.

أوجستا : هل هي فيها؟

كراجلر : إنها فيها. نبضي عادي جدا، أمسكي.
(يبسط يده اليسرى، ويشرب باليد الأخرى)

ماريا : اسمه أندرياس.

كراجلر : أندرياس. نعم، أندرياس كان هو اسمي.
(يستمر في جس نبضه، وكأنه ذاهل)

لار : كانت خصوصا أشجار صنوبر، صغيرة.

جلوب : آه! هاهو ذا الحجر الذي أخذ في فتحه.

بولتروتر : وهنالك بعت، يا مغفل.

لار : من؟ أنا؟

بولتروتر : آه! حكايــة البنك! شــائقة، يا جلوب، ولكــن ليس في هذا المقهى.

جلوب : أهانوك؟ لكنك قادر على ضبط نفسك. إذن، إذن ما عليك إلا أن تضبط نفســك! لو نزعــوا منك جلدك، فلا تتحرك يا مدفعي، وإلا انشــق بالطول، وليس عندك غيره (يستمر في غســل الكؤوس) آه! أجل، لقد أهانوك إهانة بســيطة،

ضربوك بالسـيف، وأطلقوا عليك دانات المدفع، واستولوا عليك، وبصقوا عليك. ثم ماذا بعد ذلك؟

بولتروتر : (وهو يرى الكؤوس) ليست نظيفة بعد؟

الرجل المخمور : اغسـلني ياربي حتـى أصير أبيض! اغسـلني حتى أصير أبيض كالثلج! (يغني)

مات إخواني ولم يفلت أحد،

وأنا كدت ألاقي مصرعي،

كنت في تشرين أحمر،

غير أنّا في يناير.

جلوب : كفى.

أوجستا : يا عصابة الجبناء!

بائعة جرائد : (تدخل) الاسـبارتاكيون في حـي الصحافة! روزا الحمراء تخطب في الهواء الطلق بحديقة الحيوان! هل نتحمل وقتا طويلا انفجارات الغوغاء؟ أين الجيش؟ عشـرة ملاليم، يا مدفعي، أين الجيش؟ عشرة ملاليم.

(لما لم يشتر أحد الجريدة تخرج)

أوجستا : وليس ثم باول!

كراجلر : استؤنف إطلاق الرصاص؟

جلوب : (يغلـق بالمفتاح صوان زجاجـات الليكيـر، ويجفف يديه) سنغلق المحل.

مانكه : لنسرع يا أوجستا! لك يقال هذا الكلام، فلنسرع! (مخاطبا بولتروتر) وأنت يا سيدي؟ ماركان وستون بفنج.

بولتروتر : شهدت معركة جتلند. ولم يكن الأمر سهلا.

(الكل ينهضون)

الرجل المخمور : (معانقا ماريّا) وغدة جميلة، ملاك ناعم، سبح معه في بحر الدموع هذا.

كراجلر : إلى حي الصحافة معنا!

دخل الكلب إلى المطبخ،

واستل من المطبخ بيضة،

فأتى الطباخ بالساطور،

وانقض على الكلب، فقَدّه.

(لار، الفــلاح، يذهب مترنحا إلى الأوركســترا الميكانيكي، وينتزع منه الطبلة، ويتبع الآخرين وهو يقرع الطبلة)

* * *

الفصل الخامس

(السرير)

جسر من خشب

(صيحات، قمر أحمر كبير)

بابوش : كان الواجب عليك أن تعودي إلى بيتك.

أنّا : لا أستطيع بعد. وما الفائدة؟ لقد انتظرت أربع سنوات بصحبة صورته الشمسية، ثم أخذت شخصا آخر. كنت أخاف في أثناء الليل.

بابوش : لقد فرغت سيجاراتي. ألا تُريدين العودةَ إلى بيتِك أبدا؟

أنّا : اسمع!

بابوش : إنهم يمزقون الجرائد، ويلقون بها في برك الماء، ويسبون المترليوزات، ويطلقون الرصاص على الوجود، ويحسبون أنهم يبنون عالما جديدا. وها هي ذي عصابة أخرى قد قدمت.

أنّا : ها هو ذا!

(كلما اقتربت الجماعة نشأ اضطراب كبير في الأزقة المجاورة. طلقات النار تندفع في اتجاهات عديدة)

أنّا : الآن، سأخبره.

بابوش : سأغلق فمك.

أنّا : لست بلهاء. الآن، سأصيح.

بابوش : وأنا الذي ليس معه بعد سيجار!

(ينبثق من بين البيوت جلوب، ومانكه والامرأتان، وأندرياس كراجلر)

كراجلر : أنا مبحوح. أفريقيا تخرج من ثقوب أنفي سأشنق نفسي.

جلوب : ألا يمكنك أن تشـــنق نفسك غدا، وتأتي معنا الآن إلى حي الصحافة؟

كراجلر : (وهو يحدق في أنّا) بلى!

أوجستا : أترى رؤيا؟

مانكه : ماذا جرى لك يا صاحبي؟ إن شعرك يقف على رأسك!

جلوب : أهي؟

كراجلر : نعم، ماذا هناك، أتتوقفون؟ ســـأذهب بكم إلى حيث تقتلون رميا بالرصاص! إلى الأمام، إلى الأمام، دائما إلى الأمام!

أنّا : (تتقدم للقائه) أندريه!

الرجل المخمور : ارفع الساق فالحب ينادي!

أنّا : يا أندريه، توقف. إنه أنا. أردت أن أقول لك شيئا. (صمت). أردت أن ألفت انتباهك إلى شـــيء. توقف قليلا، أنا لست سكرى. (صمت). ليس على رأسك شيء، والجو بارد. لا بد أن أهمس في أذنك بشيء.

كراجلر : هل أنت سكرى؟

أوجستا : العروس تجري وراءه، والعروس سكرى!

أنّا : نعم، ماذا تقول؟ (تخطو بضع خطوات). أنا حامل.

(أوجستا تقهقه بضحكة حادة. كراجلر يترنح، يحدق ناحية الجســـر، يأخذ في رفع قدمه كأنه يبدأ من جديد في تعلم المشي)

أوجستا : لستَ سمكة حتى تستنشق الهواء هكذا!

مانكه : أوه! أتحسب أنك تحلم؟

كراجلر : (وإصبعه على خط خياطة البنطلون) تحت أمرك!

مانكه : إنها حامل. الحمل بأطفال، هذه مهنتها. تعال الآن!

كراجلر : (بتشدد) تحت أمرك. إلى أين؟

مانكه : لقد صار مجنونا.

جلوب : ألم تكن في أفريقيا؟

كراجلر : مراكش، الدار البيضاء، الثكنة!

أنّا : أندريه!

كراجلر : (مرهفا أذنه) اسـمعي، يا عروسي، يا عاهرة! لقد جاءت، ها هي ذي، بطنها مملوء.

جلوب : إن فيها فقر دم، أليس كذلك؟

كراجلر : صه! لم أكن أنا، لم أكن أنا الذي فعلته.

أنّا : أندريه، هناك ناس!

كراجلر : هل الهواء هو الذي نفخ بطنك، أو أنت صرت مومسـا؟ لم أكـن موجودا، ولم يكن في مقدوري مراقبتك. كنت مغروزا في الطين؟

ماريا : ينبغي ألا تتكلم هكذا. ماذا تعرف إذن؟

كراجلر : وأنت التي أردت أن أراها من جديد. وإلا، لكنت ممددا في مكاني الحقيقي، والريـح تهزم في جمجمتي، والتراب في فمي، ولن أعرف شيئا. لكن هذا أيضا هو ما أردت أن أراه. كان لا بد لي أن أدفع ثمنه. لقد أكلت الكُسّـبَ، وكان مُرّا. وزحفـت على قدمي ويديّ لأخرج من جحري. آه! كان ذلك خبثا! يـا ويلتاه! لقد كنت خنزيرا! (يفتـح عينيه) أتظنون أنكم تشاهدون مسرحية؟ هل دفعتم ثمن التذاكر؟

(يمسك بقطع من الطين على الأرض ويرمي بها حواليه)

أوجستا : امنعوه!

أنّا : استمر يا أندريه، استمر! ارم في هذه الجهة، ارم!

ماريا : أبعدوا هذه المرأة، إنه سيقتلها.

كراجلر : اذهبوا إلى الشيطان! عندكم كل ما رغبتم فيه. يمكنكم أن تفتحوا أفواهكم. هذا كل شيء، لا أكثر.

أوجستا : الرأس منكس إلى أسـفل! في التراب، الـرأس! (الرجال يمسكون برأس كراجلر في مواجهة الأرض)

أوجستا : والآن، اذهبي يا آنسة، أرجوك.

جلوب : (مخاطبا أنّـا) نعم، اذهبي إلى بيتـك الآن! هواء الصباح مفيد للمبايض.

بابوش : (يتقدم نحو كراجلر وهو يخترق ساحة القتال بميل، ويقول له، وهو يسـتمر في مضغ طرف سـيجار) الآن تعرف أين اسـتقرت القذيفة. أنت الله الآب. وقد فجّرت رعدك. أما هذه المرأة، فهي حامل، ولا تسـتطيع أن تسـتمر جالسـة على هذا الحجر، والليالي باردة، وربما تسـتطيع أن تقول شيئا...

جلوب : نعم، ربما تستطيع أن تقول شيئا.

(الرجال يدعون كراجلر ينصب قامته. صمت. الريح تهب. يمر رجلان مسرعان)

أحدهما : لقد استولوا على بيت أولّشتين Ullstein.

الآخر : وأمام محل موسّه Mosse أحضروا المدافع.

الواحد : نحن قلة قليلة جدا.

الآخر : كثيرون قادمون في الطريق.

الواحد : بعد فوات الأوان، بعد فوات الأوان بكثير.

(مرّا)

أوجستا : هل سمعتم؟ هيّا، لننه المسألة الآن.

مانكه : ألقوا بالجواب في فمه، هذا البورجوازي وفاجرته!

أوجستا : (تريـد أن تجر كراجلر) تعال معنا إلـى حي الصحافة، يا

فتى، سترى أنك سينبت لك شعر الوحش!

جلوب : ما عليك إلا أن تتركها في حالها عند حدها! في الساعة السابعة ستأخذ أول «مترو».

أوجستا : لن يسير «المترو» اليوم.

الرجل المخمور : إلى الأمام، لندخل في الرقص!

(أنّا نهضت)

ماريا : (وهي تتطلع فيها) بيضاء مثل الغسيل.

جلوب : شاحبة قليلا، ونحيلة قليلا.

بابوش : سيغمى عليها.

جلوب : يبدو عليها هذا، لكن الضوء هو الذي يصورها هكذا.

(ينظر إلى السماء)

أوجستا : هؤلاء قادمون من فدنج Wedding.

جلوب : (وهو يفرك يديه) وأنت أيضا أتيت في الوقت نفسه مع المدافع. لعلك من الاتجاه ذاته؟ (كراجلر يعتصم بالصمت) أنت لا تقول شيئا، وهذا عين العقل. (يلف حول كراجلر) سترتك مزقتها طلقات الرصاص، وأنت ممزق مهلهل. ولكن هذا لا أهمية كبيرة له. ربما فقط حذاؤك هو الذي يضايق، لأنه يزقزق. لكن تستطيع أن تشحمه، أليس كذلك؟ (يستنشق الهواء) منذ الساعة الحادية عشرة بعض الكواكب قد أطيح بها، وبعض المنقذين قد أكلتهم الطيور، ومن الخير أنك بقيت. هضمك فقط هو الذي لايزال يسبب لي بعض الهموم. على كل حال، أنت على الأقل لست شفافا تماما: لاتزال ترى على الأقل.

كراجلر : تعالَي هنا، يا أنّا!

مانكه : «تعالي هنا، يا أنّا!».

أنّا : قولوا، أين محطة المترو؟

أوجستا : لا مترو اليوم. اليوم لا مترو، ولا قطار ضواحي، ولا «ترام» طــوال النهار. اليوم راحة في كل مكان، والقطارات متوقفة على كل الخطوط، وسنمشــي على أقدامنا كالرجال، حتى المساء، يا عزيزتي.

كراجلر : تعالي هاهنا بالقرب منّي، يا أنّا!

جلوب : ألا تريد أن تمشي معنا قليلا، يا أخي المدفعي؟

(كراجلر يلتزم الصمت)

جلوب : كان منا من كان يريد أن يشــرب كأســا أخرى أو كأســين، لكنك أنت كنت ضد هــذا الرأي. وكان منا من كان يود أن ينام مرة أخرى في ســرير، لكنك أنت لم يكن لك ســرير، ومن أجل هذا لم نعد إلى بيوتنا.

(كراجلر يلتزم الصمت)

أنّا : ألا تريــد أن تذهب إلــى هناك، يا أندريه؟ هؤلاء الســادة ينتظرونك.

مانكه : إذن، هل قررتِ قرارك؟ اكشفي عما في بطنك.

كراجلر : ارمونــي بالحجارة، فلن أتحرك، وأنا مســتعد للتنازل عن قميصي من أجلكم، لكن أن أقدم قفاي للســكين، كلا، هذا لا أريده.

الرجل المخمور : اسم الله! اسم الله!

أوجستا : وإذن؟ وإذن، حي الصحافة؟

كراجلر : لا فائدة. لن أنقاد إلى حي الصحافة وأنا بقميصي. انتهى. لم أعد خروفا. لا أريد أن أموت.

(يستل غليونه من جيب بنطلونه)

جلوب : ألا تعتقد أنك بهذا تتصرف تصرف رجل مسكين؟

كراجلر : ياعزيزي، إنهم يضربون الرصاص في البطون مباشرة! أنّا! يا لنظرتك إليّ، باسم الله! هل يجب عليّ أن أبرز نفسي أمامك؟ (مخاطبا جلوب) أنت، لقد قتلوا ابن أخيك، أما أنا فقد استرددت زوجتي. تعاليّ يا أنّا!

جلوب : أعتقد أننا نستطيع الاستمرار في السير وحدنا.

أوجستا : إذن كل هذا، أفريقيا وسائر الأشياء، كله كان أكاذيب.

كراجلر : لا، قد كان حقيقيا! أنّا!

مانكه : السيد قد نادى مثل السمسار في البورصة، والآن السيد يريد أن يذهب إلى الفراش.

كراجلر : الآن، عندي زوجتي.

مانكه : أهي ملكك الآن حقا؟

كراجلر : تعالي هنا، يا أنّا! إنها ليست سليمة، لم تعد بريئة. هل سلكت كما ينبغي، أو تحملين ولدا في بطنك؟

أنّا : ولد، نعم، أحمل ولدا.

كراجلر : تحملينه.

أنّا : إنه هنا. والفلفل لم يفد في شيء، وخطوط جسمي فسدت إلى الأبد.

كراجلر : هذه هي حالتها!

مانكه : ونحن؟ امتلأنا من الكحول حتى القلب، وحُشينا من العبارات حتى الرقبة، ومن السكاكين حتى أقدامنا، من الذي وضع كل هذا فينا؟

كراجلر : أنا. (مخاطبا أنّا) نعم، هذه حالتك يا فتاة.

أنّا : نعم، هذه حالتي أنا.

أوجستا : ألم تصح: «إلى حي الصحافة!» – أليس كذلك؟

كراجلر : بلى، فعلت ذلك. (مخاطبا أنّا) تعالي هنا.

مانكه : نعـم فعلت ذلك. ولن تتخلص من الأمر بهذه السـهولة، يا صاحبي. لقد صحت: «إلى حي الصحافة»!

كراجلر : وأنا عائد إلى بيتي. (مخاطبا أنّا) هل أدفعك دفعا؟

أوجستا : سافل!

أنّا : دعني! لقد مثلت الكوميديا على أبي وأمي، واستقبلت شابا في سريري.

أوجستا : وغد، أنت الآخر.

كراجلر : ماذا أصابك؟

أنّا : لقد اشتريت الستائر معه. ونمت معه في السرير.

كراجلر : اسكتي!

مانكه : لو تتزعزع، لشنقت نفسي، يا رجل!

(في العمق بعيدا تُسمع صيحات)

أوجستا : والآن هم يهجمون على محلات موسّه Mosse

أنّا : وأنت لقد نسيتك تماما، على الرغم من الصورة الشمسية، نسيتك من رأسك حتى أخمص قدميك.

كراجلر : اسكتي.

أنّا : نسيتك، نسيتك.

كراجلر : وأنـا لا يهمني. هل كان عليّ أن أبحث عنك، وسـكّيني في يدي؟

أنّا : نعم، تعالَ خذني، نعم، بسكينك!

مانكه : في الماء، هذه الجيفة!

(ينقضون على أنّا)

أوجستا : نعم، انتزعوا منه هذه العاهرة!

مانكه : أمسكوا بها من خناقها.

أوجستا	:	في الماء، هذه المزيّفة.
أنّا	:	أندريه!
كراجلر	:	كفوا! انصرفوا!
		(لا تســمع حشــرجات الصدور. من بعيد، تسمع أصوات المدافع المكتومة، على فترات غير منتظمة)
مانكه	:	ما هذا؟
أوجستا	:	المدفعية.
مانكه	:	مدافع.
أوجستا	:	فليرحم الله كل الذين هناك. إنهم يتطايرون كالسمك.
كراجلر	:	أنّا!
		(أوجستا تهرع إلى العمق وهي محنية الظهر)
بولتروتر	:	(يظهــر فــي عمق المســرح على الجســر) يا إلهــي! ماذا تفعلون؟
جلوب	:	إنه يبول على نفسه!
مانكه	:	يا وغد!
		(يخرج)
كراجلر	:	الآن أنا عائد إلى بيتي، يا طائري الجميل.
جلوب	:	(وقد وصل إلى الجسر) نعم، لاتزال عندك خصيتاك.
كراجلر	:	(مخاطبا أنّا) لايزال الصفير، تشبثي برقبتي، يا أنّا.
أنّا	:	سأجعل نفسي صغيرة جدا.
جلوب	:	وأرجو أن تشنقي نفسك، غدا صباحا، في الكنيف. (اختفت أوجستا هي والآخرون)
كراجلر	:	أنت يا صاحبي ستُقتل رميا بالرصاص.
جلوب	:	نعم، يا صاحبي، هواء الصباح غنيّ بالوعود لكن هناك من يفضلون الاحتماء بمأمن.
		(يختفي)

كراجلر : كنتم على وشـــك أن تغرقوا في الدموع التي ذرفتموها على مصيري، وأنا لم أفعل غير أن غســلت قميصي بدموعكم! ربمـــا كان عليّ أن أجعـــل لحمي يتعفن فـــي النهر لأجعل فكرتكم ترتفع إلى السماء؟ أنتم سكارى، أليس كذلك؟

أنّا : أندريه! كل هذا لا أهمية له.

كراجلر : (مـــن دون أن يتطلـــع في وجههـــا، وهو يدور على نفســـه ممســـكا رقبته بيديه) لقـــد ضقت ذرعا إلـــى هذا الحد! (يتهانف بشراســـة) مسرحية هذه كلها، ومن أخسّ الأنواع! ألواح، وقمـــر من ورق، وخلف ذلـــك: منضدة الجزار: هي وحدها الحقيقية. (يســـتأنف الدوران حول نفسه، وذراعاه مرتفعتان، ثم يســـقط على الأرض حيث يلتقط طبلة مقهى جلوب) لقد نســـوا طبلتهم. (يقرعها) «النصف اسبارتاكي، أو قوة الحب!»، «حمام دم في حي الصحافة»، أو «في جلده يشـــعر كل إنســـان بالأمان». (يرفع عينيه، ويطرف بجفنه) يرفع على الدرع أو بدون درع. (يضرب على الطبلة) القربة تعزف والمســـاكين يموتون في حي الصحافة، والمنازل تنهار على رؤوســـهم، والفجر ينبلج، وهم ممددون على الأسفلت كأنهم قطـــط غارقة، وأنا خنزير، والخنزير يعود إلى بيته. (يسترد نفسه) سألبس قميصا نظيفا، وجلدي أملكه دائما، وســـترتي أنا أتركها، وحذائي سأدهنه بالورنيش (بضحكة شريرة) كل هذه الصيحات ســـتنتهي، غدا صباحا، ولكني أنا ســـأكون في فراشـــي غدا صباحا، وســـأتكاثر حتى لا تنقطع ذريتي. (طبـــل) لا تنظروا نظرات رومنتيكية هكذا! يا عصابة من المرابين! (طبل) يا قاطعي الرقاب! (يضحك ملء حلقه حتى ليكاد يختنق) أيها الجبناء المتعطشـــون إلى الدماء! (ضحكة تتوقف في حلقه، ولا يملك نفسه، يترنح، يرمى بالطبلة نحو القمر، الذي كان مجرد مصباح. الطبلة

والقمر يســقطان في النهر الذي لا يجري فيه أيّ ماء) كل هذا لعب صبيان وعربدة. والآن جاء دور الســرير، السرير الكبير الواسع الأبيض، تعالي!

أنّا : يا أندريه!

كراجلر : (يجرها إلى العمق) أراغبة أنت أيضا؟

أنّا : لكن ليس عليك سترة.

(تساعده على لبس سترته)

كراجلر : الجو بارد. (تلف المحرمة على عنقه) تعالي الآن! (يسيران جنبا إلى جنب، من دون أن يتلامسا. أنّا متخلفة عنه قليلا. وفي الهواء، في أعلى جدا، بعيدا جدا، صياح وحشي حاد، صادر من حي الصحافة)

كراجلر : (يتوقــف، ينصت، يمســك بأنّــا من كتفيهــا) مضت أربع سنوات، الآن.

(يتركان المسرح، بينما الصيحات لا تتوقف)

* * *